محمد الزوي

هوامش على تذكرة سفر

كتاب الشعب

٧

هوامش على تذكرة سفر

كتاب الشعب

[illegible] يوسف [illegible]

محمد الزوي

هوامش على تذكرة سفر

رسائل من الغربة

منشورات
الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان

العدد ٧ — يوليو ١٩٧٨ م.

الطبعة الاولى

يوليو / ١٩٧٨ م

حقوق الطبع محفوظة للشركة في الطبعة الاولى

وللمؤلف حقه في الطبعات التالية

« .. هل تعرفين كيف يكون الحب
بعد الستين ؟

« .. هل تعرفين كيف تكون الحياة
حين يكبر أولادنا ويذهبون ؟

« .. سوف تغزلين الصوف وأبقى إلى
جوارك أمسك بالخيوط .

« أحدثك عن أيام ما زالت ذكراها
معي ..... »

« أغنية فرنسية قديمة »

وحيداً كنجمة الصّباح

كنت أزرع خطواتي في ليل بوينس أيرس وحيداً غريباً كنجمة الصباح ...

وليل بوينس أيرس ، ليل كئيب وموحش ، الأضواء تلمع من كل مكان ، والشوارع فسيحة نظيفة ، والميادين واسعة مضيئة .

لكن ذلك كله لا يمنع كآبة الليل ووحشته وأخطاره أيضاً ...

فالزعيم الذي حلمت به الجماهير طويلاً ، وانتظرته بالشوق والحب كله فشل في أن يعيد الابتسامة للأرجنتين ..

لقد عاد زعيماً يختلف تماماً عن الصورة التي رسمها له الشعب ونحتها في قلبه .

نسي الشعب في لحظات ألمه وحزنه وانتظاره وشوقه أن الزعيم قد أكله الزمن .. أصبح حطاماً ، عجوزاً مترهل الجسد والفكر ..

ان بيرون السبعينات يختلف تماماً عن بيرون الخمسينات ..

فالزمن قاتل ..

والمنفى لم يعطِ شيئاً للزعيم سوى راقصة تدفع السأم الذي يتسلل إليه .. ولم يستطع الزعيم رغم رفقة زوجته الراقصة أن يعطي شيئاً لشعب

الارجنتين .

اكتشف الشباب الجديد الحالم بالمنقذ العظيم ان أحلامه سقطت من السماء السابعة وتناثرت شظايا على طول وعرض الأرجنتين .

وتحرك الشباب في محاولة لجمع شظايا أحلامه .

وكان معنى ذلك مواجهة الزعيم العجوز ...

ومنذ ذلك اليوم أصبح الليل في بوينس أيرس .. ليلاً كئيباً موحشاً محفوفاً بالمخاطر .

فقد تنفجر قنبلة هنا ..

وقد تتناثر الشظايا هناك ..

وقد تهاجم الشرطة هذا المقهى ..

أو تقتحم ذلك البيت ....

وأنا أزرع خطواتي في ليل بوينس أيرس وحيداً وغريباً كنجمة الصباح .. ولا شيء يهزني أو يثيرني سوى أنني غريب ووحيد وبعيد عن أرض انبثقتُ من قلبها وعشقتها عشقاً اسطورياً لا مثيل له ...

لقد كانت ثمة نصائح للهيئات الدبلوماسية بالحذر من ليل بوينس أيرس .

لكن البدلة الدبلوماسية كانت ضيقة للغاية على جسدي الرافض العنيد ... فأنا لا زلت كما أنا ابن جنان النوار « بشبشبه » القديم وشعره المنكوش ، وقميصه الملتصق بالجسد ..

بنزواته .. وبحثه عن التجربة مهما كان الثمن المدفوع .

لذلك كنت أزرع خطواتي في ليل بوينس أيرس وحيداً .. وغريباً كنجمة الصباح ضارباً بكل النصائح الموجهة للهيئات الدبلوماسية .

سيارات الشرطة تملأ المنعطفات ..

والخوذات الحديدية تعكس الأضواء المتساقطة من ليل بوينس أيرس ....

والملصقات تملأ الجدران

عالم غريب متناقض تعكسه الملصقات .

بيرون في القلب

احذروا تجربة التشيللي ..

لا بد من جيفارا الجديد ...

تافارينا زوربا تقدم لكم المتعة الكاملة ..

كافحوا شلل الأطفال ....

سحبت خطواتي من الشوارع المليئة بالخوذات الحديدية والملصقات المتناقضة ودلفت داخل الشوارع الخلفية متجهاً صوب مقهى سمعت عنه كثيراً ، وحذرت منها كثيراً .. فهو ملتقى الشباب الجديد الذين يصنعون الكلمة الجديدة ، ويبدعون النغم الجديد ، ويحلمون بالمستقبل الجديد .. ويشكلون بفكرهم وابداعاتهم القوة القادرة يوماً على خرق الجدار الحديدي لتزرع الحب والتقدم في قلب الشعب الأرجنتيني ..

دخلت المقهى ببطء شديد .. محاولاً اكتشاف الموقع قبل أن احتل مكاني .

كان المقهى مليئـــاً بالشباب والشابات .. والضجة تندفع صاخبة ساخنة ، فالحوار بين الجميع يبدو خصيباً ودافئاً ...

عيون كثيرة رصدتني ..

ولكني وحيد وغريب كنجمة الصباح ولا تهمني العيون كثيراً .

سحبت كرسياً وجلست على أقرب منضدة .. وبدأت محاولة التأمل .

آميكـــو ....

التفتّ للصوت الذي ينادي ..

كان وحيداً على منضدة مثلي .. صغيراً رغم لحيته الشقراء التي أضافت اليه وسامة وجمالاً ....

حملت كأسي وجلست بجانبه ...

ودار حوار ....

كان من شباب السينما الجديدة .. أخرج ثلاثة أشرطة قصيرة .. وكتب أكثر من عشرة سيناريوهات .

سافر كثيراً ..

وقرأ كثيراً ..

واكتشف كثيراً ..

واصطدم بالواقع المر كثيراً ...

طال الحوار وتشعب ، ولم يعرف الصديق الأرجنتيني عني شيئاً سوى انني كاتب ليبي جاء يريد اكتشاف القلب الأرجنتيني .

فهؤلاء الشباب المبدعون يرفضونك تمامـــاً اذا عرفوا أنك موظف

حكومي تمد يدك في آخر كل شهر لتتقاضى مبلغاً معلوماً ...

انهم يؤمنون بأن الحياة مغامرة منظمة .. وان الاستكانة للراتب تعني سقوط كل شيء ، ونهاية كل شيء .

فالموظف في نظرهم ليس شاباً يتفجر بالحيوية .. ولكنه عجوز مترهل يمتد كرشه أمامه ولا يملك فكراً على الأطلاق .

وقد رفضت أن أقول الحقيقة ، ان أقول إنني موظف حتى لا أفقد احترامي .

رفعت كأسي .. وفي تلك اللحظة تماماً كانت الخوذات الحديدية قد ملأت المقهى وسدت منافذه ...

عيونهم تقدح بالشرر ..

حركاتهم غضبى ..

عصيهم مرفوعة إلى فوق ...

ساد الهرج والمرج . سقطت عشرات الكراسي والمناضد ..

ارتفعت أيدي الشباب والشابات إلى فوق ، وفعلت مثلهم ..

داست الأقدام على الكتب ومخطوطات الأشعار وأحلام صديقي السينمائية ....

في لحظات كانت تحملنا ست سيارات سوداء كالحة مقفلة من كل الجهات ..

وفي لحظات كنا داخل مستودع كبير لا نعرف اذا كان مركزاً للشرطة ام معتقلاً خاصاً .

امتلأ المستودع بحرارة الشباب وحيويتهم .. فهؤلاء لا يعرفون الخوف ..

عيونهم تلمع بالشجاعة ...

رؤوسهم صلبة عنيدة ..

قبضاتهم مضمومة في قوة ....

فجأة انطلق صوت عنيف قوي من حنجرة شابة ..

وتحولت حناجر الشباب إلى حنجرة واحدة قوية تردد :

« كانتا كون ميكو كانتا أرمانو أميريكانو »

وبقيت معهم حتى الصباح أردد أغانيهم ..

قد أفهم كلمة وقد تضيع كلمات ...

ولكني كنت أحس بقوة خفية تندفع من أغانيهم فتهزني من الداخل، وتشعرني بأنني ما عدت وحيداً وغريباً كنجمة الصباح ..

ولكنني توحدت مع مجموعة من البشر تواجه الآلام والمحن لتحدد ملامح المستقبل .

أصبحت نجمة وسط مجرة مليئة بملايين ملايين النجوم التي تبدد ظلام العالم كله ..

في الصباح قسمونا إلى ثلاثة صفوف ، وبدأت عملية الفرز الجهنمي .. البطاقة ..

مددت يدي إلى جيبي وأخرجت البطاقة الديبلوماسية ...

ارتج الضابط في مكانه ...

ترك مكتبه واختفى للحظات ثم عاد وعبارات الأسف تسبق خطواته ، وابتسامة صفراء يزرعها فوق وجهه ...

وطلب مني أن أرافقه .. فلا بد أن التحقيق سيأخذ شكلاً آخر . ماذا يفعل ديبلوماسي في هذا المقهى الخطير .. ؟

قبل أن أغادر مكاني التفت أبحث عن صديقي السينمائي الأرجنتيني .

عندما التقت عيوننا ، التفت عني وبصق على الأرض .

لقد اكتشف انني خدعته .. وانني املك بطاقة ديباوماسية لا تدخل عادة إلا جيوب البرجوازيين المتعفنين الذين يحاربهم بفنه السينمائي ...

لم أغضب ...

فالانسان لا يغضب من الحقيقة في بعض الأحيان ....

انفصلت عن مجرتي ...

وعدت وحيداً وغريباً كنجمة الصباح ، أزرع خطواتي في ليل بوينس أيرس الكئيب ...

طفولة بلا طفولة !!

حاولت بالأمس أن أعود طفلاً نزقاً يتصرف بلا حدود ، بدون عيون غاضبة تثقب ظهره .. بدون ألسنة جارحة تقطع أوصاله .. بدون قيود اجتماعية ترهق كاهلة ..

طفلاً يتصرف بحرية وبراءة .. وينطلق في ملكوت الله صادقاً .. صافياً .. نقياً .. طاهراً .. عاشقاً كل شيء جميل ممتع في الوجود .

زيارة واحدة لمدينة « والت ديزني » جعلتني أحاول أن أحطم تراكمات السنوات الطويلة القاسية .. وان أمحو الحزن القديم الذي أصبح وشماً أسوداً على صفحة القلب ..

آه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة عجيبة ؟

هل يذكر أحد من جيلنا طفولته جيداً ؟

أنا شخصياً لم أعرف الطفولة في حياتي .. الطفولة بمعناها الحقيقي وليس الشكلي ..

لقد كانت طفولة بلا طفولة ..

طفولة بائسة فقيرة في كل شيء ..

فقر في المادة .. وفي الروح .. وفي العلاقات الاجتماعية .

حفاة نسير ..

عراة نتقافز في الطريق ...

نومنا على الحصير الصلب الذي يتّرك آثاره على أجسادنا الصغيرة ..

خبزنا إن وُجد جافّ قاسٍ كحجر صلد ..

بيوتنا تسكنها عشرات العائلات ...

حجراتنا يتناسل داخلها الآباء .. ويقذفوننا الواحد تلو الآخر لنحتل مكاننا في ركن من أركان نفس حجرة التناسل ..

آه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة .. ؟

حتّى الضحك نسرقه .. فالضحك بدون سبب يؤدي عادة إلى الجحيم حتّى لو كنت طفلاً ....

تحت « البطاطين » المهلهلة في ليالي الشتاء نسرق الضحكات .. ولكن النوم لا يملأ عيوننا إلا بعد أن تمتلىء بالدموع جزاء سرقتنا للضحكات بدون ما سبب يدعو لذلك ....

لا نعرف الموسيقا ولم نسمعها إلا مرة واحدة في المدرسة عندما رددنا نشيداً وطنياً فشتمنا مدرس الموسيقا لأن أصواتنا نشاز ولم نشاهده بعد ذلك قطّ ....

لا نعرف إذاعة تحمل أغنية أو تمثيلية أو قصة أو خبراً ...

(دخلت الاذاعة بيتنا عن طريق جهاز الاستقبال سنة ١٩٦١ م) .

لم نسمع أصلاً كلمة « تلفزيون » ولو سمعنا عنه لما صدقنا رغم أننا نصدق خرافات الغولة ذات العيون التي ينطلق منها اللهيب ...

(دخل جهاز التلفزيون بيتنا سنة ١٩٦٨ م وتعتبر تلك فترة مبكرة جداً لدى مجموع شعبنا) .

لا نعرف مدينة للملاهي .. لا نعرف أساساً كل هذه اللعب التي تغرقنا بها الآن اليابان والصين .

لا نعرف قصصاً مطبوعة للأطفال .. أو مجلات خاصة بهم ..

آه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة ؟

ولدنا رجالا أجلافا منذ اللحظة الأولى .. نفوسنا خشنة جافة قاحلة .

لم يتفتح وجداننا الصغير إلا على زعيق الأب وضربه المبرح لأمنا .

لم نعرف من الحنان ومن أصول التربية سوى « فلقة » الشيخ ... والوقوف أمام الحائط بالساعات .. أيدينا إلى أعلى ، وعلى ظهورنا الصغيرة مكتوب بالطباشير « حمير الفصل » ...

العصا تطاردنا في كل مكان ..

كن رجلاً ....

وأنا شخصياً كنت رجلاً وأنا في الخامسة من عمري ...

فالتمزق العائلي أفقدني الاحساس بالطفولة حتى في مظهرها البائس المعذب ..

عليّ أن أكون رجلاً في كل الأحوال ...

عليّ أن أكون رجلاً حتى لا يستأسد عليّ مدير المدرسة ويطردني لأنني لا أملك « مريول » المدرسة الأسود .

وعليّ أن أكون رجلاً حتى لا تعذبني « فلقة » الشيخ وتنسيني كل

الآيات التي سهرت الليالي أحفظها ...

وعليّ أن أكون رجلاً وأبي يطاردني كثور هائج داخل أزقة أبي الخـير ..

آه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة ؟

لا اكترث كثيراً عندما نناقش أمور الأدب والفن عندنا ونكتشف اننا نعاني نقصاً فادحاً في عدد المبدعين ...

فهل يولد المبدع في هذا الجو البائس الخانق القاتل .. ؟

ان المبدع لا يولد من بطن أمه مبدعاً .. ولكن قدرته على الابداع تتفجر من خلال مراحل الحياة التي يمر بها ...

وأيّ إبداع يمكن ان تثمره « فلقة » الشيخ .. وعصا الأب .. وقسوة المدرس ؟

أيّ ابداع يمكن أن يتفجر في ظل الفقر والجوع والمرض ؟

أيّ وجدان فني أو ادبي يمكن له أن يتكون داخل مجتمع تنعدم فيه الطفولة وتفقد ملامحها ؟

لقد كسر البعض هذه الأسوار وابدعوا .. فكانوا بحق أبطالاً يجب أن نحتفي بهم ....

لكن الشيء المؤكد أن الأجواء الاجتماعية والنفسية والتربوية التي خنقت طفولتنا قد خنقت معها عشرات من المبدعين كان من الممكن ان يملأوا حياتنا بدفء الابداع الانساني ..

فآه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة ؟

وها هو العام يبتلع العـــام .. وها أنت في امريكا .. في أعظم مدن الأطفال في العالم تحاول أن تعود طفلاً نزقاً يتقافز هنا وهناك بدون « فلقة » الشيخ ووثاق الأب الدامي والجوع لكسرة الخبز الجاف .

ها أنت في امريكا جيوبك مليئة بالدولارات تحاول أن تعود طفلاً نزقاً لا يبالي بأحد ...

ولكن أين تهرب من تراكمات السنوات المظلمة الطويلة ؟

اين تهرب من وشم الحزن الأسود داخل قلبك ؟

اين تهرب من الشيب الذي بدأ يغزو مفرقك ؟

اين تهرب من الحقائق التي تنتظرك ؟

اين تهرب من الواقع الذي يترصدك ؟

فآه لماذا يشيخ الأطفال عندنا بسرعة ؟

أمريكا ... شتاء ١٩٧٣ م.

البحث عن لحظة صدق!!

كان المطر يهطل غزيراً بالخارج ...

وكنت أدلف إلى أروقة استوديوهات شركة كولومبيا بأثينا ..

نبهتني مرافقتي إلى ضرورة الهمس أثناء الحديث لأن ثيودوراكس يجري تجاربه في الاستوديو رقم (١) وقد يسجل اليوم .

ثيودوراكس .. يا له من حظ رائع يضعني أمام هذه المصادفات السعيدة ..

تركت كل شيء ، ودلفت إلى حجرة المراقبة في الاستوديو رقم (١) بشركة كولومبيا بأثينا ..

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

رأيته يدخل حجرة التسجيل يقف في مواجهة الفرقة الموسيقية .. طويلاً كان ..

تحس أن قامته تصل إلى السحاب تماماً ..

الشعر الأبيض يزين فوديه

يداه طويلتان وأصابعه أطول ..

هذا هو ثيودوراكس الفنان اليوناني العظيم الذي كانت موسيقاه

حرباً ضارية على الفاشية اليونانية ...

التفت إلى مرافقتي الفتاة اليونانية الجميلة .. كانت بجانبي لكنها ليست معي .. تسبح مع ثيودوراكس صانع موسيقا الشعب وصائغ الروح اليونانية .

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

لقد فشلت الفاشية بكل ضراوتها ووحشيتها وأساليبها الجهنمية أمام ثيودوراكس .

نجحت في شيء واحد ان تبعده عن الأرض اليونانية ..

لكن روح الشعب اليوناني كانت معه في المنفى .. كان الشعب معه في رحلة العذاب والغربة ...

وكان هو يعرف دوره جيداً ..

لم يعدّ مظاهرة ...

لم يتقدم مسيرة ...

لم يوزع منشوراً ..

لم يكتب مقالاً تحريضياً ...

لم يفعل كل ذلك .. ولكنه أبدع موسيقا تصور روح الشعب اليوناني الذي يرفض بتكوينه وتاريخه العميق وحضارته الكبيرة أي شكل من أشكال الفاشية ..

وكانت موسيقاه تنتقل كالبرق لتتحول رصاصاً يستقر في القلب الفاشي المتغطرس ..

كانت موسيقاه تتردد في كلّ مكان من عالمنا .. تخترق الحدود والحصار والخوذات الحديدية والاجراءات الصارمة لتصل إلى القلب اليوناني ..

كان الطلبة يتحدون السلطة الفاشية .. ويعزفون موسيقاه في ساحات الجامعة .

وكانت شركات الاسطوانات تطبع موسيقاه سراً وتقدمها للشعب ..

كان ثيودوراكس في كل بيت وقلب يوناني ..

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ...

لم يهادن الفاشية على حساب معتقداته وشعبه ..

لم يسقط أمام الاغراءات التي يسيل لها اللعاب ..

ظل ثيودوراكس الفنان الذي تلتهب موسيقاه بروح الشعب الأصيل ..

الفنان الذي يؤمن بالديمقراطية والتقدم والسلام ..

الفنان الذي تخرج أنغامه من القلب مباشرة لتجمع حولها كل القلوب ..

ظل « زوربا » الانسان البسيط الذي يؤمن بأن الحياة ملك للبسطاء ..

ظل بطل « زد » اليساري الذي يدفع عمره ثمناً لمبادئه ودفاعاً عن حرية الشعب وحقه في الحياة ..

ظل ثيودوراكس صافياً ونقياً في المحنة والمنفى كما كان في الأيام العادية ..

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

بدأت الفرقة الموسيقية في العزف .. وبدأ ثيودوراكس يقودها ..

شعره الأبيض يتماوج في حركة موسيقية بديعة ..

يداه ترتفعان ، تنخفضان .. تقتربان تبتعدان ، تتلاصقان ، ترتعشان ترتعدان ..

جسده يهتز بقوة ونشوة ..

لا تشعر أنه يقف على أرض حجرة التسجيل .. إنه يسبح في عالم لا نراه .. لكنه بالتأكيد عالم البسطاء والفقراء والمناضلين الذي يستلهم حياتهم ويصوغ منها موسيقاه الرائعة العظيمة المعبرة الأخاذة ، النفاذة ، الساحرة ..

والعازفون لا ينظرون إلى النوتات الموسيقية أمامهم .. ولكنهم معه يسبحون في ذلك العالم الخصيب بكل ما هو جميل ورائع ونبيل وخلاق ..

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

ثمة دمعة ترقرقت في عيني الصبية اليونانية مرافقتي .. ورأيتها تنحدر على خدها المشوب بحمرة جميلة .. تنحدر كرة فضية صافية ونقية ..

تمنيت أن أشرب تلك الدمعة المنحدرة على الخد المشوب بالحمرة الجميلة فهي دمعة صادقة من قلب لم تلوثه بشاعة الحياة بعد ...

آه ما احوجني إلى لحظة صدق .. إلى دمعة صدق ..

ما زال ثيودوراكس يرحل داخل عوالم البسطاء والفقراء صناع الحياة .. وموسيقاه تأسرني وتأخذني إلى بعيد .. تنقلني إلى وطن الحب والعشق والعذاب ...... تعيدني طفلاً يتقافز في الأزقة الضيقة المتربة .. تربطني بالأرض وعطرها النفاذ الذي يملأ الرئة بالحيوية والشباب ..

تشدني إلى تلك العوالم السفلية حيث لا أقنعة ولا زيف ولا خداع ...

آه يا وطن الحب والعشق والعذاب ..

لماذا تقذفني في المنافي البعيدة بحثاً عن الأصالة في كل شيء ، والأصالة موجودة في أعماقك أنت ..

آه يا وطن الحب والعشق والعذاب .. ؟

لماذا ترحلني من أرض إلى أرض بحثاً عن الصدق .. والصدق في أرضك أنت ..

آه يا وطن الحب والعشق والعذاب ..

لماذا تجبر ابناءك على المنفى وهم يحملون حب الدنيا كلها من أجلك ؟

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

انتهى تدفق الموسيقا ..

وتوقف جسد ثيودوراكس عن الحركة المنتشية .. ومسحت الصبية الاغريقية دمعها .. وتوقف سيل الخواطر الذي ينزف بداخلي ..

وخرجت مسرعاً ..

احتوتني شوارع أثينا الواسعة ..

وكان المطر يهطل غزيراً بالخارج ..

أثينا ١٩٧٦ م

ماذا لو كانتْ معي؟

وحدي سيدي يا رسول الله أجلس في رحابك استنشق عطر تلك الفترة التاريخية العظيمة التي غيرت مسار الانسانية كلها ، اتمثلك نبياً ورسولاً ومعلماً وقائداً وحكيماً وأخاً وصديقاً وحبيباً ، وأحس ان الالتحام معك وبك هو النهاية الرائعة لحياتي الفكرية والنفسية .

فماذا لو كانت معي تجلس بجانبي في رحابك سيدي يا رسول الله ؟ ..

لقد تمنت طويلاً أن تجلس في رحابك الشريف .

كان الزمن والحزن يمتصان نور عينيها يوماً بعد يوم لكن أمنية الجلوس في رحابك تضيء في الظلام حولها وتهزم جحافله المتوحشة .

كان المرض ينهشها ويمزق جسدها الوديع ومع كل خلية تموت فيها أو يضطرب عملها كانت أمنية الجلوس في رحابك تقضي على وحشة المرض وآلام الدنيا كلها .

كان الوهن قد أصاب رجليها وبدأت تتحرك بصعوبة مستندة على الجدار أو على كتفي لكن أمنية الجلوس في رحابك كانت تعطي لساقيها حيوية الدنيا كلها .

كان المرض قد سيطر تماماً وسجنت في الفراش بدون حركة حتى

لأهم الضروريات ، لكن أمنية الجلوس في رحابك كانت تهز النفس والبدن معاً ..

فماذا لو كانت معي تجلس بجانبي في رحابك يا رسول الله .. ؟

ماتـــت ...

في لحظة من لحظات القدر الرهيبة ماتت ...

أسلمت نفسها لمراكب الموت تقودها عبر الفيافي والمجاهل إلى اللقاء الموعـــود ...

تركت كل شيء وانسحبت في هدوء .. لتبدأ الرحلة الطويلة المجهولة..

ماتت بدون أن تزعج أحداً . كان البيت كله غارقاً في نومته اللذيذة عندما رحلت رحلتها الأولى والأخيرة .

وفي الصباح اكتشفنا أنها ماتت وابتسامتها الوديعة تغطي وجهها كله كأنها أرادت أن تودعني الوداع الأخير بهذه الابتسامة الوادعة كما تعودت دائماً في حياتها .

فماذا لو كانت معي تجلس بجانبي في رحابك سيدي يا رسول الله .. ؟

ماتت ...

تركتني وحيداً وحزيناً وممزقاً وضائعاً ..

تتقاذفني أمواج الحياة وتعبث بكل الأماني الجميلة والصغيرة التي خططنا لها معاً ...

فأنت تعرفين أنه لا يوجد أحد يحبني في هذه الحياة سواك ومع ذلك رحلت عندما جاءك الأمر بالرحيل .

وبقيت أنا وحيداً وصغيراً وممزقاً وضائعاً ...
لكن كل شيء يظل محفوراً في القلب ..
صنعت عشرات الأصدقاء والأحباب ..
وسعت دائرة علاقاتي العائلية ....
تزوجت ....

جاءت سمية وأميمة وخالد وخلود .. لكن الحزن طائر يكبر كل يوم ولا يغادر عشه أبداً ..

الحزن أكبر من الصداقة والعائلة والأطفال ..
ويظل كل شيء محفوراً في القلب ..
فماذا لو كانت معي تجلس في رحابك سيدي يا رسول الله .. ؟
لم تكن أماً .. كانت أكبر من ذلك بكثير ..

كنت أراقبها كل يوم والزمن والحزن يمتصان نور عينيها وحيوية جسدها .

لكنها كانت أمامي أكبر من الزمن والأحزان والمرض ..
والابتسامة الوادعة دائماً تملأ وجهها والأمنيات تكبر كل يوم ..

والحلم بأن أكون رجلها الحقيقي في قادم الأيام يزهر في عينيها ويقاوم شراسة الزمن والمرض والأحزان ... لا تتعب ولا تكل أبداً .

تقطع الطريق إلى السوق أكثر من مرة في اليوم وتحمل فوق رأسها الصغير بضاعتها في البطاطين تلف بيوت شارعنا بيتاً بيتاً تبيع الدفء للناس مقابل مكسب صغير تقتات منه وتقتات منه أمانينا الصغيرة .

لم تتوقف رحلتها المعتادة إلا عندما سيطر المرض تماماً ..

وأصبح من المستحيل عليها أن تمنح الدفء للناس وأن تقتات من جهدها وتقتات أمانينا الصغيرة ..

فماذا لو كانت معي تجلس في رحابك سيدي يا رسول الله .. ؟

عندما بدأت الحياة أكثر يسراً وعندما أصبح من الممكن أن نبدأ في تحقيق أمنيتنا الصغيرة التي أطعمناها شوقنا وانتظارنا وذل وحزن وقهر سنواتنا الطويلة ، في ذلك الوقت تماماً .. جاءها الأمر بالرحيل . ابتسمت للأمر وبهدوء صعدت إلى مراكب الموت تفودها عبر الفيافي والمجاهل ..

وتركتـــني ..

وها أنا أجلس وحيداً في رحابك سيدي يا رسول الله . الحزن يأكلني والقلق يعصف بي وذكريات السنوات المضيئة تتقافز كالشياطين أمامي والمستقبل يبدو لغزاً غارقاً في بحار الغموض ...

فلتمنحني رحابك سيدي يا رسول الله راحة النفس ولتهز جذور القلق والخوف والأحزان ....

ولتبعثني انساناً جديداً يستلهم رسالتك ويخوض بها غمار الحياة ..

ولكـــن ..

ماذا لو كانت معي تجلس في رحابك سيدي يا رسول الله .. ؟

المدينة المنورة ١٩٧٥ م

ثلاث رسائل من وارسو

الرسالة الأولى

أخيراً وارسو ...

أذكر جيداً كيف كنا نحلم بوارسو ونتصورها ..

أذكر جيداً ليالي الشتاء والأبواب المغلقة والأنفاس المتقاربة وصوتك يخترق الزجاج والضباب بأشعار عبد الوهاب البياتي عن عمال وارسو ..

حقاً إن الصورة كانت غامضة وغائمة في أذهاننا .. لكن وارسو كانت تتحدى الغموض كله . والخوف كله .. وتنطلق أمامي جميلة ورائعة وشابة تسبح في بحور خيالاتنا ولا تكلّ من السباحة عارية فاتنة ساحقة .

ولقد قُدِّر لي أن أزور جزءاً ليس صغيراً من هذا العالم المترامي الأطراف .. وكانت وارسو معي في كل الرحلات.

كانت تسخر من ناطحات السحاب في شيكاغو ..

وتخرج لسانها لبرج آيفل في باريس ..

وتنطلق عابثة في ميادين بوينس ايرس ..

وتقلب صحون السباقي في روما ...

وتضحك من بوذا في تايلاند ..

وتبتسم للعراة في الهند ..

كانت دائماً معي ..

ولقد تعمدت كثيراً عدم زيارتها رغم أن ذلك كان في امكاني ..

كأنني كنت أريد أن استنفد كل العابرات لاتفرغ للعشيقة الحقيقية .

وأخيراً وارسو ..

أنا أعترف أن وارسو حلم منحوت في القلب ، وان النحت تمّ في لحظة الرحلة الفكرية المضنية بحثاً عن الحقيقة ... وأعترف أن الأمور الآن لم تعد كما كانت ..

لقد سلبنا الزمن أعز ما نملك ، شوقنا إلى الاكتشاف ..

لقد سلبنا الأطفال أروع ما نملك ، الشجاعة والجرأة ..

ولقد سلبنا الواقع المر وانعدام التجربة القدرة على الصمود داخل مواقعنا الفكرية ...

وبات من الضروري أن نراجع كل قناعاتنا الأولى .. وعندما يبدأ الانسان في مراجعة قناعاته تبدو الفرصة مواتية للانحراف ، وربما السقوط .

وهكذا تحولت وارسو إلى مجرد ذكرى نحرص عليها .. ونحاول أن نوهم أنفسنا بأنها كانت يوماً تمثل شيئاً في حياتنا ،

وأخيراً وارسو ...

عندما بدأت الطائرة الفرنسية رحلة إقلاعها من مطار موسكو في اتجاه وارسو كان سؤالاً مقلقاً يولد داخلي : ماذا بقي من وارسو ...

سرحت طويلاً ورحلت إلى بعيد واكتشفت بمنتهى الهدوء أن شيئاً لم يبق من وارسو سوى ذكريات ليالي الشتاء والأبواب المغلقة والأنفاس المتقاربة .

وصوتك يخترق الزجاج والضباب بأشعار عبد الوهاب البياتي عن عمال وارسو ..

الأشياء غير الأشياء ..
والواقع غير الواقع ..
والحياة غير الحياة .

حتى وارسو ما عادت وارسو التي عرفناها وحلمنا بها وحملناها حباً منحوتاً في القلب ..

كان اسم وارسو يعني المراقبة والاعتقال والسجن .
كان اسم وارسو يعني الفكر المهندس للنفس البشرية .
كان اسم وارسو يعني النضال والموت في سبيل التقدم الانساني .
كان اسم وارسو يعني العمال والشبيبة وأطفال المستقبل .
آه ماذا بقي من وارسو ...

حتى وارسو ما عادت وارسو التي عرفناها وحلمنا بها وحملناها حباً منحوتاً في القلب ..

الواقع غير الواقع ..

كل الطرق أصبحت تؤدي إلى وارسو ..

ما عادت وارسو مراقبة واعتقالاً وفكراً ونضالاً وعمالاً وأطفالاً وتقدماً ..

أصبحت وارسو سوقاً سوداء للدولار الأخضر .. وفراشاً كبيراً ينوء بثقل الباحثين عن المتعة الجسدية .

وعندما يبدأ الدولار الأخضر في التسلل إلى المواقع الحصينة يبدأ السقوط ..

أخيراً وارسو ..

عندما توقفت الطائرة الفرنسية فوق ممرات مطار وارسو اكتشفت أنني المسافر الوحيد الذي عليه أن يهبط إلى وارسو أما الآخرون فطريقهم غير طريقي ..

يا الهي .. هل قدر لي أن أكون وحيداً في لحظة اللقاء مع العشيقة القديمة ؟...

لا بأس فرغم مرارة الوحدة تقدمت بجرأة نحو قاعة الوصول وصوت يهتف داخلي .. أخيراً وارسو ..

وارسو ، يوليو / ١٩٧٥ م .

الرسالة الثانية

حجبوا عني وارسو ...

زرعوا ضباب الجنس والمتعة الفاسدة على شمسها الملتهبة ..

كنت أستعد لخوض رحلتي داخل الاعماق الحقيقية لوارسو . أحلم بعشرات الشباب الذين سألتقي بهم وهم ينسجون بابداعهم ، بفكرهم ، بسواعدهم ، بوقتهم ، خيطاً مضيئاً في تجربة الانسان المتواصلة من أجل سعادته ورخائه . أحلم بالجلوس مع عائلة تعيش آمال المجتمع في تطلعه الدؤوب للبناء وتحقيق الكفاية الإنتاجية ، عائلة تتكون من الأم والأب وأولادهم الصغار الذين تبدو تطلعات المستقبل من خلال اشراقة وجوههم ...

لكنهم حجبوا عني وارسو ...

في قاعة الفندق الذي أنزل فيه التقيت بهم .. مواطنون من ليبيا أعرف بعضهم ، احتضنوني ... رحبوا بمقدمي ، اضفوا عليّ من عبارات التقدير ما أغرقني في بحر من الخجل ...

وقدرت أن متعتي ستتضاعف ، لن أكون فرداً ، سنكون مجموعة طيبة تكتشف أعماق وارسو ..

لكنني كنت أحلم ..

فهؤلاء لهم مخططهم الخاص بهم . إنهم قادمون لهدف معين لا يتنازلون عنه حتى بالموت .

أحاطوا بي من كل مكان . صنعوا حولي سوراً ، ألست مواطناً منهم ؟...

حجبوا عني وارسو ..

حاولت أن أشرح لهم ماذا تعني وارسو وسط هذا الصراع العالمي الشرس ..

قرأت عليهم أشعار البياتي .. قلت لهم إن هذه التجربة جديرة بالمعايشة والتأمل واستخلاص المعاني ...

وضحت لهم أن المتعة الحقيقية هي أن تكتشف البلد الذي تزوره ....

تركوني أتكلم ..

تركوني أشرح .....

تركوني أقرأ الأشعار ..

تركوني أحلـم ...

وعندما انتهيت أخذوني من يدي ودلفوا بي لأول ماخورة قابلتنا ..

حجبوا عني وارسو ...

أمام الحاح مواطنيك في الخارج لا تستطيع الهروب .. فأنت سيء وأحمق وجدير بالمقاطعة والتشريح اذا أنت فكرت في الهروب .

يجب أن تفكر في مناطق لا تقابل فيها مواطنيك قبل أن ترحل إلى أي بلد .. وإذا لم تفكر في ذلك ، فعليك أن ترضخ للواقع وعليك أن تستسلم للحصار ، وأن تسلم قياد نفسك لمواطنيك يدخلونك أول ماخورة تقابلهم ...

حجبوا عني وارسو ...

ليس العيب في مواطنيك .. لكن العيب في تلك التراكمات والترسبات القديمة التي تستقر في القلب الاجتماعي ..

ان المجتمع المقفل يقذف بأبنائه إلى التمزق الكامل .. يفقدهم توازنهم .. يجعل شهواتهم أكبر من عقولهم ، يجعل غرائزهم هي القائدة والمسيطرة والمتحكمة ..

نعم ..

مواطنوك لم ينضجوا على نار هادئة ...

من الجوع إلى الشبع حتى التخمة والمرض والموت ...

من الصبر الأصفر الكالح إلى أفخم الصالونات ...

من الحافلة المتهالكة والدراجة المتآكلة إلى أفخم السيارات . من الصفر إلى الالاف ...

من الحجرة الضيقة إلى الشقة الواسعة النظيفة ..

نعم ...

مواطنوك لم ينضجوا على نار هادئة ..

تطور مادي هائل .. ولكن بدون أن يصحبه تطور روحي وعقلي وثقافي .

الأثاث بآلاف الدينارات ولكنك لا تشعر بأن ثمة ذوقاً يربطه ...

الفيلا بعشرات الآلاف ولكن لا تحس أن فيها لمسة جمال واحدة ...

البدل بمئات الدنانير لكن ألوانها نشاز توحي بانعدام الذوق ...

الأطفال تمتلىء عيونهم بالذباب وتصل إفرازات أنوفهم إلى أفواههم يستطعمونها ويستعذبونها ويستحلبونها وهم يجلسون في ظل سيارة أبيهم التي اشتراها بآلاف الدينارات ..

حجبوا عني وارسو ...

سنظل نحتاج إلى زمن طويل حتى ننضج تماماً وعلى نار هادئة ...

سنظل نحتاج إلى زمن طويل حتى يدخل الذوق والجمال إلى عقولنا ووجداننا ...

سنظل نحتاج إلى زمن طويل حتى نعرف كيف نرتب حياتنا وبيوتنا ورحلاتنا ...

ووسط هذا الاحتياج الطويل سنظل نصطدم بمواطنينا في الداخل والخارج ولا نستطيع الفكاك منهم ، لا نقدر على الهروب من طريقهم ، فنحن بعضهم وان حاولنا بقدر الإمكان أن نكتسب شيئاً ينضجنا، نحن بعضهم شئنا ذلك أم أبينا ...

حقاً ان هذا الوضع يجب أن يدفعنا إلى عمل شيء للخروج بمواطنينا

من هذه الدائرة المغلقة ...

ولقد حاولنا فعلاً أن نعمل شيئاً .

كتبنا ، نعم .. ولكن من يقرأ ...؟

أبدعنا ،نعم .. ولكن من يحس ..

تحدثنا .. ولكن من يسمع ..

فالكلمات الهادئة لا يهتم بها أحد .. والنغمة المنسابة الرقيقة لا تقبلها الأذن ...

ولكن رغم هذا الفشل يجب أن نواصل الطريق ...

فهذا مجرد فشلنا المليون، ولا بد أن نتصر على قرع الطبول ودقات الأجراس ، ونصل بالأشياء الجميلة إلى وجدان مواطنينا ...

حجبوا عني وارسو ...

أجبرني مواطني الكرام الذين التقيت بهم على أن أكون سائحاً بالمعنى الليبي الصرف ..

ولم أقاوم رغبتهم كثيراً ..

فأنت تعرف أننا رغم قراءاتنا ، رغم اصرارنا على التقدم ، فلا تزال بقايا الكبت الاجتماعي عالقة بنا . إننا لم نتطهر بعد .. لا زلنا نحمل فيروس الكبت كأي مواطن عندنا ..

لذلك لم أقاومهم كثيراً ... وكنت سائحاً بالمعنى الليبي الصرف .

لكنني في اليوم الثالث كانت المرارة قد وصلت إلى حلقي وبدأت

استطعمها ، فما أتيت لوارسو كي أكون سائحاً بالمعنى الليبي ...

وها أنا أكتب لك كلماتي في الفجر وأنا أنتظر رد شركة الطيران على طلبي بالسفر على أول طائرة مسافرة خارج وارسو .. هرباً من مواطنيك الكرام الذين حجبوا عني وارسو .. وزرعوا ضباب الجنس على شمسها الملتهبة .

وارسو ، يوليو ١٩٧٥

الرسالة الثالثة

كان سائق سيارة الأجرة شاباً صغيراً .. خصلات شعره الأشقر تنسدل على جبهته فتضيف إلى وسامته بعداً جديداً ..

وكانت الرحلة طويلة ولا بد من قطعها بالحديث .. ومن حسن الحظ أن السائق الشاب كان يتكلم الانجليزية جيدة تماماً ..

وبدأت معه الحوار بجسارة ..

قلت له : هل تعجبك الحياة في بولندا ؟.

وكأنه كان ينتظر هذا السؤال منذ سنوات طويلة .

إندفع في الكلام كأنه الطوفان .

بالطبع لا تعجبني الحياة في بولندا ..

نعم أن كل شيء متوفر ، العمل والعلاج والضمان الاجتماعي والسكن والمواصلات .. لكن الحياة لا تتحدد داخل إطار هذه الأشياء فقط .. فليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

لقد قتلت الشيوعية فينا الاحساس بانسانيتنا .. فأنت تأكل وتشرب وتتناسل ولكن لا تشعر أبداً بأنك تمارس إنسانيتك كما تريد أنت .. فههنا كل شيء مرسوم وعليك أن تقبل وترضى ولا تفتح فمك بكلمة واحدة .. فالطريق أمامك محدد ويجب أن تسلكه ولا تفكر حتى مجرد التفكير في تغيير اتجاهك ..

قلت : كيف يمكن اكتشاف الخطأ ؟

واصل الشاب البولندي كلامه كاندفاع الطوفان .

ربما نعم ... وربما لا ...

قد يكون الخطأ في التطبيق .. وقد يكون الخلل في الأساس .

ولكن هذا لا يهمني .. الذي يهمني أن حياتي محددة داخل اطار ... وأنا أريد أن أخرج من هذا الاطار لانطلق في حرية ..

ليس معنى هذا انني مع عودة الرأسمالية لتتحكم في الناس وتستنزف عرقهم وجهدهم .

انني مع الاشتراكية على طول الخط ..

ولكن السؤال هو : أيّ اشتراكية ؟

لنقل مثلاً انها اشتراكية السويد .. ان الاشتراكية هناك تطبق من خلال مراعاة حرية الانسان وحقه في التعبير والنقد والاختيار .

لا توجـــد في تجربة السويد رأسمالية بالمعنى المفهوم والمعروف للرأسمالية الشرسة الشرهة .

ولكن أيضاً لا توجد شيوعية بقيودها الحديدية التي تدمي النفس .

المهم في تلك التجربة السويدية الانسان أولا وأخيراً والهدف سعادة

الانسان أولاً وأخيراً .

ان الانسان في السويد لا يخضع للنظرية ، تطبق ، وتجرب عليه ولو أدت إلى هلاكه .. ولكن النظرية هي التي تخضع لحاجة الانسان ومتطلباته ورؤيته وأمانيه أيضاً .

انني يا سيدي من هذا المنطلق أرفض شكل الحياة في بلدي .

لم أتدخل في الحوار .. تركت الطوفان في ثورته .. وسرحت بعيداً .

هل هذا هو رأي القوى الجديدة في بولندا ؟.

رفضت السؤال بشدة .. فهذا الشاب ذو الشعر الأشقر .. لا يمثل شباب بولندا ولا قوتها الجديدة .

ولا بد لكلماته الغضبى المندفعة من صورة أخرى تحتاج إلى توضيح .. فهو من هذه الفئة التي أفسدتها أفواج السياح التي تتزاحم على أبواب وارسو بحثاً عن المتعة بأرخص الأثمان .

من الفئة التي تعلمت اقتنـــاء الدولار الأخضر .. وتعلمت شراء الحاجيات الأوربية التي يأتي بها السياح يبيعونها في سوقها السوداء ويشترون بها لحظات من المتعة العابرة .

لقد أصبح يحلم بعالم وردي لا يوجد له واقع إلا في أشرطة الخيالة والدعايات الامريكية .

إن هذا السائق الشاب ذو الشعر الأشقر منفصل تماماً عن الحياة الحقيقية التي يصنعها الانسان الاشتراكي داخل المصانع والجامعات والمنتديات والمؤسسات والمهرجانات ..

ومن هنا تأتي عذاباته .. وتنبثق حرارته .. وينطلق غضبه ..

لو نقلوا هذا السائق الشاب ذا الشعر الأشقر إلى عاصمة غريبة أخرى لمزقته الحقيقة ..

لو نقلوه إلى هناك لعرف قيمة أن يتوفر له الخبز والدواء والمدرسة والعمل وضمان الشيخوخة .

فالعواصم الغريبة كالقطط المتوحشة التي تأكل أبناءها والشباب هناك ممزق ضائع لا يعرف طريقه .. ولا يعرف ماذا تخبىء له الأيام .. يقطع رحلته بدون ضمان .. بدون اشارات ضوئية تقدم له الهداية .

الشباب هناك يقف وحيداً في مواجهة المخالب الرأسمالية المتوحشة والأحزاب التقليدية المنتصمة عن هموم البشر . والسلطة المتركزة في أيدي طبقة واحدة .. والتمزق النفسي والأخلاقي والروحي ..

ترى أين سيكون مكان السائق الشاب ذي الشعر الأشقر وسط عالم الاعلانات والمرجوانا والشذوذ .. ؟

لا شك أنه سيظل سابحاً في أحلامه المريضة ..

وستظل تجربة الانسان في اندفاعها وتجددها هي طريق الانسان وخلاصه في بولندا ..

وستظل وارسو رغم السياح وسوق الدولارات الخضراء بلد العمال الذين يصوغون شرف الحياة على امتداد أرض بولندا ...

مطار وارسو

يوليو ١٩٧٥

آه یا موسکو!!

كان الطريق إلى الساحة الحمراء في موسكو زاخراً بالصفوف الطويلة التي جاءت من كل مكان في روسيا لتلقي نظرة على جثمان لينين الذي ينام داخل صندوق زجاجي بالمبنى الصغير الملتصق بجدار الكرملين .

وقفت في الصف القصير المخصص لضيوف مهرجان الخيالة الخامس في موسكو ..

وكانت أمامي في الصف الراقصة والممثلة السورية « قمر » ترتدي « الميني جيب» . سيقانها بيضاء ممتلئة .. رائحتها الباريسية تملأ أنفي وتثير في النفس شهوة قاتلة للسيقان البيضاء الممتلئة ..

هربت من « قمر » وسيقانها ورائحة الجنس التي تعبق منها ... وحاولت أن أعود للحظة التي أستعددت لها طويلاً ..

مسحت بعيني الصفوف الطويلة . عشرات . مئات، آلاف من الوجوه الروسية التي عرفتها من خلال النماذج الأدبية الروسية قبل أن التقي بها ..

أطفال ونساء وعجائز وشباب وشابات يتفجرون بالحيوية يقفون منذ الفجر في صفوف طويلة طويلة .. يمنحون الساحة الحمراء حياة تفتقدها عشرات الساحات في عواصم أخرى ..

تململت الراقصة « قمر » في وقفتها فعبق الجنس مرة أخرى وأحسست بالارتباك وخفت أن تصل رائحة الجنس إلى الصفوف الواقفة ..

لكن تلك الصفوف كانت مشدودة إلى شيء آخر يختلف تماماً ... فهي صفوف لا تعذبها العقد الجنسية .. ولا تدفع مستقبلها كله مقابل ليلة حمراء فوق أفخاذ راقصة من الدرجة الثالثة ..

لقد تخلصت هذه الصفوف من عقدها واكتشفت نفسها .. وعرفت طريقها ووضعت يدها على المفاتيح التي تقودها إلى مستقبلها .. ولن تغيرها راقصة ولا رائحة باريسية ولا أحدث أزياء العري ...

إنها صفوف تقف منذ الفجر في انتظار رؤية جثمان الرجل الذي انبثق فجرها من خلال فكره ونضاله وممارساته .. ولا تملك إلا أن تحترم وقفتها الطويلة وانتظارها الرائـــع .

فكرت والصفوف تزداد في كل دقيقة طولاً .. لماذا لا توجد ساحة عربية يمكن أن تتجمع فيها هذه الصفوف الطويلة يملؤها الحب والوفاء والايمان والاشراق النفسي والفكري لتتجه بأنظارها وأفكارها ومشاعرها إلى شيء نبيل وعظيم ومؤثر ...؟

عادت « قمر » الراقصة السورية إلى حركتها القلقة فانتشر العطر الوحشي ينشب أظافره داخلي .

لقد شاهدت صفوفاً طويلة في ساحات كثيرة في عواصم عربية مختلفة ولكنها صفوف تختلف تماماً عن هذه الصفوف التي تمنح الساحة الحمراء في قلب موسكو جمالاً انسانياً أخاذاً . .

صفوف تقف بمذلة لتحصل على قطعة الخبز في الجمعيات الاستهلاكية.

صفوف تقف مسحوقة في انتظار بطاقة العمل العضلي الشاق داخل الموانيء .

صفوف تقف أمام صناديق الاقتراع لتنتخب من اشتراها في الليلة السابقة بنقوده ووعوده الكاذبة .

صفوف تقف محترقة أمام دار الخيالة التي تعرض شريطاً مليئاً بالقبل والعري والجنس .

صفوف كثيرة كثيرة تشهدها العواصم العربية المختلفة لكنها صفوف يقتلها السأم والملل والخوف والضياع والفراغ ..

لماذا ؟

استجمعت كل شجاعتي .. تخطيت رائحة الجنس التي تعبق بقوة وشدة من كل قطعة في جسد الراقصة السورية « قمر » وهمست في أذنها :

لماذا يقف العالم كله في صفوف طويلة أمام قادته وعظمائه ومفكريه وتفشل هذه الأمة في الالتفاف حول قائد أو عظيم أو مفكر .. ؟

هزت الراقصة السورية « قمر » كتفيها وقالت لي : لقد تركت كلبي الصغير داخل غرفتي بالفندق وأنا خائفة عليه فلم يتعود البقاء لوحده .

فشلت في اقحام الراقصة ذات السيقان الممتلئة داخل عوالمي وأصرّت على البقاء فوق الرصيف ..

تحرك الصف .. ووجدت نفسي أمام الباب المؤدي إلى جثمان لنين .

الرهبة تملأ المكان .. الحركة بحساب والتنفس بحساب ..

وقابلني نائماً في صندوقه الزجاجي ..
نفس الوجه ..
نفس التقاطيع ..
نفس اللحية المدببة الصفراء ..
نفس « الصلعة » التي تلمع تحت الضوء ..
كانت الرهبة تسيطر تماماً ..

تذكرت هؤلاء الذين صنعوا تاريخ ومجد أمتنا العربية .. تزاحفت ذكراهم في المكان وغطت على الرجل النائم في الصندوق الزجاجي . واستدعيت كل تلك الأسماء الشريفة النبيلة التي تشرق وتضيء داخل التاريخ العربي .

أعادتني نظرة حارس جثمان «لنين» إلى الواقع فلقد وقفت مع ذكرياتي طويلاً وأخرت حركة الصف .

تحركت حتى وجدت نفسي خارج المبنى على أسوار « الكرملين » حيث قبور كل القادة الروس الذين صنعوا التاريخ الروسي الحديث ..

ومن بعيد كنت أشاهد الصفوف وقد ازدادت طولاً وأخفت أرضية الساحة الحمراء .

مددت خطواتي في اتجاه فندق روسيا حيث اقامة وفود مهرجان موسكو السينمائي ..

وفي الطريق كانت عشرات الأفكار تملأ عقلي وتولد آلاف الأسئلة

بدون اجابة واحدة..وفي خيالي صورتان تتصارعان: صورة الانسان وهو يتخطى في مثابرة وإصرار أقنعة التخلف والضعف والكبت ... وصورة قمر الراقصة بسيقانها البيضاء الممتلئة ..

فآه يا موسكو ثم آه ...

موسكو يولية ١٩٧٥ م

البشارة وأمطَارُ الفرح

— ١ —

عندما تسلمت البرقية التي تحمل بشارة قدومك أمطرت سماء لندن بالفرح .

وعندما تمطر سماء المدن الغريبة بالفرح تنتعش الحياة في قلب الغريب ويشعر أنه يولد من جديد ويملك القدرة على مواجهة وحش الغربة الضاري الذي يغرز أظافره المسمومة في قلبه ..

فالغريب لا يفرح ولكنه يفتعل الفرح ليبرر غربته .

ولكن عندما تمطر السماء بالفرح فان الحياة تنتعش في قلوب الغرباء ولا يكون هناك موقع للافتعال .

وهذا ما حدث تماماً عندما أمطرت سماء لندن بالفرح وهي تتلقى البشارة بقدومك .

لقد خرج الغرباء في ذلك المساء العظيم عرايا في الشوارع يستقبلون أمطار الفرح تغسلهم وتمسح أحزان سنوات الغربة والانتظار ..

وكنت أنا بينهم غريباً مثلهم لا شيء يميزني عنهم.فالغرباء كأسنان المشط .. ولكن في قرارة نفسي كنت أعرف ان ثمة شيئاً يميزني عنهم

فبشارة قدومك التي أمطرت لها سماء لندن بالفرح قد أمطرت لها عيناي أيضاً ..

. ولك ان تتصور ما معنى ان تمطر السماء في ذات اللحظة التي تمطر فيها العيون ؟ ..

— ٢ —

ترى، هل كان ساعي البريد يعرف أي بشارة يحملها في حقيبته التقليدية وهو يذرع شوارع لندن بحثاً عن عنواني ؟

ان وجهه لا ينبيء بأنه يعرف شيئاً .. فوجهه ساكن كنهر التايمز .. ويده باردة ككل الأيدي الانجليزية .

رثيت لساعي البريد .. فهو لا يعرف أن حقيبته مليئة برعود الفرح وبروقه وأمطاره .. وأنه في اللحظة التي تمتد فيها يده بالبرقية ستنفجر سماء لندن بامطار الفرح ...

اليس غريباً أن يحمل الانسان معه بروقاً ورعوداً وأمطاراً ولا يحس بها ؟

— ٣ —

لو قدر لأحد أن يراقب اسلاك البرق في تلك اللحظة التي اختزنها الزمن طويلاً .. لشاهد عجباً .

فلا بد أن تلك الأسلاك المحظوظة قد اهتزت بقوة .. ولا بد أن الزهو قد أخذها فتراقصت بنشوة نادرة وزرعت نشوتها وفرحها وزهوها على

امتداد المسافة الشاسعة ..

فتلك الأسلاك الباردة الجامدة استقبلت فجأة البشارة العظيمة بقدومك الرائع وفتحت مساربها لامطار الفرح التي ستغمر لندن ساعة وصول الخبر ..

ان لحظات الفرح الحقيقي تعكس تأثيراتها حتى على الأشياء التي نعتقد أنها جامدة وبلا عقل ووجدان ...

والأمر لا يتطلب سوى المراقبة الدقيقة ولحظتها سنكتشف أشياء تدعو للعجب .

أليس غريباً بعد ذلك أن يحمل الإنسان معه بروقاً ورعوداً وأمطاراً ولا يحس بها ؟

— ٤ —

عندما جاءت بشارة قدومك قررت الخروج من جلد الأحزان لاستقبال أمطار الفرح .

فمن الجنون الحقيقي أن تتقوقع داخل أحزانك وسماء لندن تمطر بالفرح .

ومن العبث أن تسيطر الأحزان وبشارة قدومك تضيء وتبدد غيوم وضباب لندن .

ان أمطار الحزن دائمة في قلبي .. ورعود الحزن أكاد اسمعها تهز كل نفس يخرج مني .

أمطار الحزن أمطار عادية تلازمني منذ بدأت رحلة الحياة ..
لكن أمطار الفرح هي الغريبة عني ..
فالسماء لا تمطر بالفرح الحقيقي إلا في مرات معدودات طيلة الحياة ..
ولقد أمطرت في ذلك اليوم الذي جاءت فيه البشارة بقدومك .
لهذا أمطرت عيناي بالفرح .. ولهذا خرج كل الغرباء في لندن عرايا يستحمون بأمطار فرحك .

— ٥ —

انتظرتك طويلاً ..
اختزنتك حلماً جميلاً ورائعاً ..
وكنت أريدك أن تبقى حلماً يملأ خاطري .
فالخوف كان يجتاحني دوماً .. الخوف ان يأكل الواقع الحلم .. الخوف أن يصبح الحلم أمام الواقع مجرد ذكرى .. الخوف أن يصبح الحلم على أرض الواقع شوكاً وعوسجاً وصباراً ..
ولكن عندما هطلت أمطار فرحك ... عندما جاءت بشارة قدومك .. نسيت خوفي وخرجت عارياً في شوارع لندن استقبل سيل الفرح القادم من بعيد ...

— ٦ —

لا شك انها تحتاجك ..
ولا شك انها تنتظرك ..

رأيتها متلهفة ..

رأيتها عطشى ..

رأيتها على كل المرافيء تنتظر ..

رأيتها تختزن فرحها وخصبها وبرقها ورعودها وأمطارها وتنتظر ..

وعندما جاءت بشارة قدومك .. تذكرتها . فهي لم تعرف أمطار الفرح منذ سنوات موغلة في القدم .

فهل تستطيع أن تفجر سماءها بأمطار الفرح .. كما فجرت سمائي ؟

هل تكون الرجل الذي يفجر انتظارها لتخرج مخزونها من الفرح والخصب والبرق والرعد والمطر ؟

عقم كان انتظارها السابق .. فهل تكون بشارة قدومك هي الخصب ؟

— ٧ —

ماذا اطلق عليك من الأسماء .. ؟

قلبت كل الأشياء . لم يستوقفني اسم واحد .. فكل الأسماء فقدت معانيها .

تذكرت تلك القبيلة « التارقية » التي تترك ابناءها بدون اسم حتى يصلوا مرحلة الشباب ويتضح سلوكهم فيكون الاسم مرتبطاً فعلاً بالانسان..

لكن المدنية الحديثة تمنع هذا الأسلوب الأصيل .

فما العمل .. ؟

ماذا اطلق عليك من الأسماء ؟

انت بشارة ...

انت مطر ...

انت فرح ...

انت برق ...

إنت رعد ...

انت وعد ...

انت انتظار ..

فماذا اطلق عليك من الأسماء .. ؟

ليكن اسمك ما يكون .. ولكن لتكن انساناً في مستوى امطار الفرح التي فجرتها ... ،

— ٨ —

قال أرسطو :

« من ليبيا يأتي دائماً شيء جديد ... »

وتقول بشارة قدومك الرائع :

« من ليبيا تولد بروق الفرح ورعوده وتهطل أمطاره فتغمر الدنيا كلها » .

وأقول أنا :

يكفي ان من ليبيا خرجت أول اشارة تنبيء بقدومك المجيد الرائع .

ويقول الغرباء الذين اكتظت بهم شوارع لندن في ذلك المساء العظيم :

« يكفي ان أمطار الفرح جاءتنا من ليبيا ... »
فيا أيها القادم عبر أمطار الفرح ..
لا تخذل الغرباء والحزانى ..
لا تخذل أباك ...
لا تخذل ليبيا ....

لندن ، ٨ فبراير ١٩٧٠ م

الورقة المذهلة

أنا عاشق لامرأة كندية لا تملك عنواناً ولا أرقام هاتف ..

امرأة تركتني ذات صباح في فندق هيلتون بالقاهرة .. ولم تترك عنوانها ولا أرقام هاتفها .. ولكنها خلفت ورقة صغيرة معنونة برقم غرفتي .. كتبت فيها بحروف رقيقة رشيقة :

« لقد اكتشفت فيك انساناً ليبياً رائعاً .. وقد احببت بالفعل وطناً اسمه ليبيا .. لكن الوداع محطة لا بد ان نجتازها بصبر .. لعلنا نلتقي يوماً ولعل لقاءنا يكون في ليبيا » .

كانت ورقة مذهلة تماماً ..

كلماتها أضاءت مساحات شاسعة داخل وجداني ..

تعابيرها ملأتني بفرح أسطوري لم أتذوق طعمه من قبل .

معانيها فجرت في نفسي ينابيع الزهو والفخر .

حروفها الرقيقة زرعتني على مساحة الدنيا كلها سحابة حبلى بالخير والمطر والحب .

فهذه أول امرأة تذهلني بطريقة فريدة .

لم تستعمل جمالها .. ولم تستعمل سلاح انوثتها .. ولم تكشف عن جمال

صدرها وساقيها .

لكنها خلفت ورقة صغيرة شكلت لي عالماً من الفرح والزهو والانتصار وربما الغرور .

أنا عاشق لامرأة كندية لا تملك عنواناً ولا أرقام هاتف ..

عشرات النساء عرفت ..

امرأة خلف امرأة .. تملني هذه .. وأملّ تلك ..

لكن العلاقة تظل عابرة ومؤقتة ومرهونة بلحظة السفر ..

حتى الأسماء لا نتبادلها في بعض الأحيان .

حتى الأسماء نزيفها في بعض الأحيان .

نختلق العناوين وأرقام الهواتف .

نخدع بعضنا البعض ..

نضحك على بعضنا البعض ..

أعرف انهن كاذبات ..

ويعرفن انني كاذب ...

لكننا نعيش اللحظة .. ننفعل بها .. نذوب فيها .. وعندما يحين موعد السفر تسقط الأكاذيب من ذاكرتنا المليئة بالثقوب .. ونبدأ في الاستعداد لجولة أخرى .

علاقات عابرة مؤقتة ولها سرعة محمومة ..

فالعلاقة الوحيدة والأكيدة والدائمة هي لامرأة ليبية يأكلها الانتظار ولا تعرف الملل .. يأكلها الشوق ولا تعرف الندم .

امرأة ليبية تمطر عيناها بالدموع وهي ترقب طيور المساء في رحلة العودة إلى أعشاشها .. لعل طائرها الحبيب يعود أيضاً إلى عشه يبعث فيه دفء الدنيا كلها ..

امرأة ليبية تجمع أطفالها في ليالي الشتاء حول الموقد تحكي لهم قصة الغائب الذي ربما يطرق الأبواب في الصباح حاملاً الهدايا والحب وقلبه المليء بالحنان .

ورغم أنه لا يجيء في الصباح إلا أنها تواصل حكاياتها .. وفي كل ليلة تتفنن في روايتها .. وتضيف جديداً ورائعاً سيحمله ويأتي به الغائب العزيز ..

انا عاشق لامرأة كندية لا تملك عنواناً ولا أرقام هاتف ..

لكن هذه المرة يختلف الأمر تماماً ..

فهذه علاقة كان يمكن أن تكون علاقة عابرة ومؤقتة لولا الورقة الصغيرة التي تحمل الكلمات المنمنمة الرشيقة .

فعلاقاتي السابقة يختلط فيها الجنس بالثمن بالاعجاب بالرغبة المشتركة بمحاولة الهروب بالاحساس بالغربة باللحظة ذاتها .

لم يدخل الوطن طرفاً في موضوع علاقتي بالمرأة .

وكانت النسوة لا يهمهن إلى أي وطن أنتمي .. ولا يهمني إلى أي وطن ينتمين ..

فالوقت والظرف لا يسمحان بالتوقف عند الوطن .

لكن هذه المرأة الكندية نزعتني من عالم تصوراتي السابقة .. وجعلت

بيني وبينها الوطن .

آه ما اضعفني أمام الوطن ..

أعطي عمري كله لقاء كلمة حب تزرع في قلب الوطن

هل فتحت هذه المرأة الكندية قلبي ووجدت الوطن داخله فقررت أن تأسرني من خلاله ؟

هل كنت اهذي في نومي بكلمات عشق لوطني .. فأرادت ان تعمق عشقي ؟

هل فتحت دفتر ملاحظاتي وقرأت شيئاً عن وطني كتبته في لحظة حزن أو لحظة فرح ؟

هل جدفت في بحر عيني واكتشفت وطناً رائعاً وعظيماً يلوح في المدى البعيد فأرادت أن تؤكد هذا الاكتشاف ؟

لم تعطني فرصة لمعرفة الحقيقة .. تركتني وخلفت ورقتها الصغيرة المذهلة ..

أحد الجيران قالت له زوجته الأجنبية أحبك حتى النهاية لكن لا أحب وطنك ولا أستطيع العيش فيه .. فارقها .. وتمزقت الأسرة وتمزق معها طفلان جميلان كالقمر .

لكن هذه المرأة لا تقول لي احبك .. ولكنها تقول أحب وطنك .. فماذا بعد هذا الا الطوفان ..

امرأة كندية بالغة الجمال والعذوبة والثقافة .. تنتمي إلى عالم غربي له رؤيته وفلسفته ومصالحه تقول أحب وطنك .

لا تحبه لأن بحيراته نفط .
ولا تحبه لأن شمسه دافئة ومشرقة .
لا تحبه لأن فيه صحراء كبيرة وواسعة ومغرية .
لا تحبه لأنه مليء بالجمال سفن الصحراء .
ولكن تحبه لأنه وطن يصنع الرجال .
فماذا بعد هذا الا الطوفان .
في رحلاتي الكثيرة تصدمني هذه الأحكام
وطنك متخلف
وطنك جاف وقاسٍ
وطنك يصدر الازعاج للعالم
وطنك خيام وصحراء وجفاف
ادخل المعارك مع قائليها .. أصارعهم .. أحاول أن أقدم لهم الدليل على أن وطني وطن الحب والخير والسلام والتقدم .

في الغالب لا يقتنعون فرؤوسهم محجوزة لمفاهيم ثابتة لا يتخلون عنها ..

وفي النهاية لا أهتم بهم فهم ينطلقون من خلال ماضٍ ومصالح ومن خلال عقد خاصة .

ولكن ها هي امرأة كندية تتمرد على عالمها المليء بالأحكام الثابتة الصادرة من واقع المصالح .. لتفجر ينابيع حبها تروي بها وطني ..

ها هي امرأة كندية بالغة الجمال والعذوبة والثقافة تمسك قلمها الأنيق وتهتف على الورق .. لقد أحببت وطناً اسمه ليبيا .

فآه ما اضعفني أمام اسم وطني ..
آه ثم آه .. فأنا عاشق لامرأة كندية لا تملك عنواناً ولا أرقام هاتف ..
لو كنت طائراً ...
لو كنت سحابة ...
لو كنت موجة ...
لو كنت نسمة ...

لكنني لست سوى انسان يحب وطنه ويملك فيه امرأة ليبية تحضن أطفالها وترقب أسراب طيور المساء العائدة إلى أعشاشها .. لعل طائرها الحبيب يتوسد أحد الأسراب في طريقه إلى عشه يبعث فيه الدفء بعد الصقيع الطويل .

قابلت وعرفت عشرات النساء ..
وسأقابل وأعرف عشرات أخريات ..
لكن الخاطر يظل مشغولاً بامرأتين ...
امرأة ليبية يأكلها الانتظار ولا تعرف الملل ..
يأكلها الشوق ولا تعرف الندم ..
وامرأة كندية تركتني ذات صباح ولم تترك عنوانها ولا أرقام هاتفها ...
ولكنها خلفت ورقة صغيرة كتبت فيها .. أحب وطناً اسمه ليبيا .

القاهرة ، مايو ١٩٧٤ م

البكاء على أبوابِ المدُن المغلقة

لم تبهرني مدينة بوينس أيرس رغم روعتها وضخامتها واتساع ميادينها وشوارعها ..

فهي مدينة مقفلة لا تعطيك شيئاً .. ولا تشعرك بأنك داخلها .. ولكنها تنمي فيك الاحساس بأنك تعيش دائماً على الرصيف منعزلاً عن نبض قلبها .. وتضخم لديك الاحساس الحقيقي بالغربة والسأم والضجر .

انها مدينة لا تضج بالحياة كالمدن الأوروبية الأخرى التي زرتها .. ولكنها تسير وفق إيقاع بطيء قاتل ومدمر يحاصرك ويتآمر عليك وتحس به سهاماً مسمومة تتجه إلى قلبك ..

لهذا أجهشت بالبكاء ذات ليلة في بوينس أيرس ..

لا بيت ارجنتيني يفتح في وجهك .. حتى خيل لي في بعض الأحيان أن كل البيوت التي تضمها بوينس أيرس بيوت مهجورة بلا سكان ...

لا صديق تعرفه فيفتح لك قلبه وبيته ويصنع لك جسراً تعبره لعلاقات أوسع وأعمق ..

لا صديقة تعرفها وتقبل دعوتك لتناول العشاء في المطاعم الفاخرة التي تشتهر بها بوينس أيرس ..

حتّى « ليليانا » كانت تمانع في أن تكون علاقتنا علنية .. أمام العمارة تقف ..... تضرب جرس شقتي ضربات مميزة .. وتظل تتلفت ذات اليمين وذات اليسار حتى يأتي صوتي .. فتتسلل في حذر .. وتصلني والدماء قد هربت من وجهها تماماً ..

تحبني ..

تعشقني ..

تبكي فوق صدري ..

تغرس أظافرها في عنقي ..

آه لو لم يكن لديك أطفال تحبهم لتغير الحال تماماً ..

وفي النهاية ترفض أن أودعها على باب العمارة ..

كما جاءت متسللة تخرج متسللة .. فبوينس أيرس مدينة مقفلة لا تتعامل مع الغرباء بسهولة وسماؤها لا تمطر بالحب أبداً ...

ولهذا أجهشت بالبكاء ذات ليلة في بوينس أيرس ..

التاريخ القديم لا يقول إن هناك شعباً أرجنتينياً بالمعنى المفهوم لكلمة شعب .. لكن مجاميع المهاجرين هي التي كونت عبر السنوات الطويلة هذا الشعب الارجنتيني .. الذي أصبح يتكون من المهاجرين الاسبان والعرب واليهود والإيطاليين والألمان ..

ونشأ عن هذا بروز مجتمعات صغيرة منفصلة متقوقعة على بعضها ..

هذا مجتمع اسباني وهذا عربي .. وهذا يهودي ..

حتى الأحياء السكنية تحمل طابع الجالية التي تسكنها ..

وأصبح من الضروري ان تتمسك كل جالية بالتقاليد التي ورثتها عن الأجداد المهاجرين .

وأصبح من الضروري أن تخلق كل جالية قيوداً شديدة على نفسها وعلى تصرفاتها حتى تحافظ على موقعها واحترامها واتزانها .

وأدى ذلك كله إلى أن تكون بوينس أيرس مدينة مقفلة وذات ايقاع بطيء وقاتل ومدمر ..

ولهذا أجهشت بالبكاء ذات ليلة في بوينس أيرس ..

كنت وحيداً .. آلاف آلاف الأميال تفصلني عن وطني الذي يضج بالحياة الحقيقية والذي تمطر سماؤه حباً صادقاً جياشاً ..

وكانت رحلتي أساساً نوعاً من الهروب الذي اخترته بمحض إرادتي .

ولكن هروبي كان إلى منفى نفسي مليء بالمرارة ..

وليس ثمة منفى أقسى من بوينس أيرس عندما تكون الرحلة اليها رحلة هروب من الأحزان والالام .. فهي مدينة لا تمطر سماؤها بالحب أبـــداً ..

كنت وحيداً داخل الشقة الصغيرة .. الصمت يأكل كل شيء حولي .. والحزن يتحول إلى قطران أسود تنفثه السجائر داخل الرئة .. والضجر وحش دموي يغرز أظافره في القلب .

وموعدها الثامنة تماماً ...

لم تأت ..

لأول مرة تخلف « ليليانا » موعدها ولا تأتي ..

لا تهمني الأعذار فأنا وحيد بأكل القطران الأسود رئته وفي حاجة إلى من يوقف هذا السيل الأسود المدمر ..

لكنها لم تأت ..

في اللحظة التي كنت فيها محتاجاً اليها .. في اللحظة التي كنت فيها محتاجاً إلى انسان يحدثني ويكسر الصمت حولي .. ويقطع سوالف الضجر التي تمتص دماء قلبي .. ويشعرني بأن الحياة لا تزال معطاءة وبخير ..

في تلك اللحظة خذلتني « ليليانا » ولم تأت ..

ولهذا أجهشت بالبكاء ذات ليلة في بوينس أيرس ..

خرجت من شقة الصمت والانتظار .. واحتوتني الشوارع الكبيرة الميتة الاحساس ..

ولمعت في الخاطر فكرة .

في قلب بوينس أيرس توجد مدينة منفصلة تماماً .. مدينة المهاجرين الفقراء القادمين من بوليفيا والبرجواي والأرجواي وبيرو وكل مناطق الفقر والتخلف في أمريكا اللاتينية ..

مدينة من الصفيح وبيوت الطين القديمة المتهالكة المتآكلة ..

مدينة لا يعرفها الأرجنتينيون وينكرونها تماماً .. ففيها الفقر والمرض والتمرد والجريمة ..

وعندما تذكر اسمها أمام أي ارجنتيني ينتفض من حولك كأن حية لسعته .

لا أحد غير هؤلاء الفقراء المهاجرين يقترب من أسوارها ..

من يخاطر .. من ؟
وتسأل .. لماذا ؟
قد تُقتـل ..
قد تُسلب ..
قد ينقطع خبرك ..
قد تخرج بدون عين أو يد أو ساق ...
فهؤلاء لا يعرفون الله .. ولا يعرفون الرحمة ..
قلوبهم صخر ..
عيشهم تمرد ..
حياتهم جريمة ..
بدون تفكير اتجهت إلى هناك ..
فالرئة أثقلها القطران الأسود ..
والغربة خنجر حادّ يشق طريقه إلى مدى القلب ..
والبيوت مقفلة وقد هجرها أهلها ..
والايقاع البطيء قاتل ومدمر ..
والضجر قطار لا يعرف محطة يتوقف عندها ..
والمدينة تقفل أبوابها في الليل مبكراً وتسلم المفاتيح لحارس متجهم لا يملك قلباً يعطف على الغرباء .
وسماء بوينس أيرس لا تمطر حباً ..
و « ليليانا » لم تأت في موعدها ..

بدون تفكير اتجهت إلى هناك .

كنت في حاجة إلى من يخرجني من حالة اللاعقل واللاجنون ..

لأمت بضربة خنجر من مهاجر بوليفي .

ليستلبني نقودي مهاجر من بيرو ..

ليفقأ عيني مهاجر من بورجواي ..

ليحدث ما يحدث فذلك أرحم من صمت قاتل داخل شقة صغيرة مقفلة في مدينة لا تفتح قلبها للغرباء .. ولا تمطر سماؤها بالحب .

بكل الجسارة دخلت المدينة التي يرهبها الأرجنتيني وينكرها ويقفز من مقعده عند ذكرها ..

قابلتني ضجة وصخب .. رجال ونساء وأطفال ..

الأضواء شاحبة والحياة تبدو في قمتها ..

عالم يختلف تماماً عن العالم الذي أتيت منه .. المتاجر صغيرة وفقيرة لكنها مفتوحة . محلات بيع الاسطوانات تنطلق منها الأغاني عالية صاخبة.. جدران البيوت المتهالكة مليئة بصور جيفارا .. الناس يذرعون الطرقات بسرعة وقوة .. المطاعم والمقاهي مفتوحة والبشر يتكدسون على الكراسي ويطلقون الضحكات القوية .. الحلاقون يشتغلون في الليل .. زحام أمام محلات التصوير .. الطرق ضيقة وقصيرة ومتعرجة .. طريق يقودك إلى طريق .. والحياة تندفع بحرارة أشد عند كل منعطف ..

هذا عالم ليس غريباً علي .. إنه جزء من عالم الفقراء في كل مكان..عالم أحس طعمه على لساني وأراه قريباً مني في أزقة أبي الخير وفشلوم والظهرة

وباب عكارة وسيدي منصور ..

يا الهي كم هو متشابه ومتقارب عالم الفقراء البسطاء ..

لم الاحظ ما اذا أحس أحد بأنني غريب .. ولم آخذ حذري من أي شيء فالخنجر سينغرز في القلب أو البطن أو الوجدان مهما كان حجم الحذر .

اخترت مطعماً صغيراً تديره إحدى العجائز .. جاءتني .. ابتسمت، فلا بد أنها قد عرفت انني غريب قادم للموت بمحض ارادته .. لمعت أسنانها الذهبية ..

طلبت أكلاً وشراباً .. وعندما جاءت بالطلب دفعت الثمن مقدماً .. وفوق الثمن دفعت « بقشيشاً » يعادل ثمن العشاء ثلاث مرات .. كنت في الحقيقة أقدم لها رشوة لتحميني من الخناجر التي سيغرزها مهاجر بوليفي في ظهري ..

فرحت العجوز وازداد لمعان أسنانها الذهبية ..

سألتني وأكثرت من أسئلتها وحاولت بقدر ما اسعفتني كلماتي الاسبانية أن أجيب .. والتفت الزبائن يتنصتون ...

بعد دقائق التف حولي ثلاثة من الشباب عرفت انهم أولاد العجوز صاحبة المطعم دفعت بهم ليستفيدوا من الغريب الذي تمتليء جيوبه « بالبيزو » الأرجنتيني ..

ودفعت لهم ثمن الشراب .. وبعد دقائق أخرى كانت منضدتي قد احتوت المطعم كله بجميع رواده ..

لم أخسر شيئاً سوى ثمن الشراب ..
وجاءوا بالقيثارة ..
وبدأ سيل الأغاني الحزينة .. أغاني الفقراء المهاجرين ..
أغانٍ لا يرددها مطرب .. ولكن ترددها كل المجاميع التي يقتات الفقر من قلبها ..
أغانٍ لا أفهمها ولكن أحس بها تخاطب شيئاً داخلي فينتعش إحساسي بالوجود ..
تمعنت في الوجوه التي تغني جيداً ..
من هو الذي سيقتلني .. ؟
من هو الذي سيفقأ عيني .. ؟
واكتشفت ان كل الوجوه بريئة وصافية وتنبض بعواطف انسانية صادقة .. وتردد أغاني لا أفهمها ولكنها تتسلل في هدوء ودفء إلى أعماقي ..
اكتشفت انني مقتول تحاول هذه الوجوه الطيبة أن تعيد إليه الحياة ..
لقد قتلتني مدينة بوينس أيرس ..
قتلتني المباني الشاهقة والشوارع الفسيحة ..
قتلتني البيوت المغلقة المهجورة ..
قتلتني القلوب الرافضة العنيدة ..
قتلتني الايقاعات البطيئة ..
قتلتني سماء المدينة التي لا تمطر حباً ..

قتيلاً كنت في بوينس أيرس النظيفة الكبيرة ..

وها هي مدينة الصفيح والفقر تفتح قلبها وتبدأ في إجراء عملية سريعة لاعادة الحياة لقتيل ممزق تنزف دماؤه بغزارة ..

في آخر الليل توقفت القيثارة وتوقف الغناء وكان علي أن أغادر المكان .

خرجت من مدينة الفقراء التي أمطرت داخلي حباً حقيقياً .. خرجت يحيط بي أكثر من عشرة رجال بوليفيين فقراء تشم في رائحتهم عطر جيفارا ودمه الساخن .. لم يتركني أحد منهم حتى ركبت سيارتي التي تركتها في أول الطريق المؤدي إلى عالم المهاجرين الفقراء ..

وعندما بدأت سيارتي تدخل المدينة المغلقة بوينس أيرس ..

عندما قابلتني الأضواء التي تتلألأ في فراغ ..

وعندما بدت العمارات الشاهقة والشوارع الفسيحة .. عندها أجهشت بالبكاء .

بوينس ايرس ، مارس ١٩٧٤ م

أحـــزان أُمِّ الضِّـيَاء

وصلتني قصتك اليوم .

كانت مليئة بالحزن النبيل الشفّاف.. ترى هل فتحت قلبي وغمست قلمك في مداد حزنه ؟

لكن .. شتان بين حزنينا .

شتان بين حزنك النبيل الشفاف الذي ينبثق من خوف صادق على واقع جديد لم تتبلور ملامحه بعد ..

وبين حزني الذي يطفح سواداً وألماً والذي يقذفني وحيداً وكئيباً وممزقاً في شوارع لندن .

من قال ان من يعيش في الخارج هو الذي يملك مفتاح الحقيقة لأنه يرى الأشياء من الخارج بتمعن .

كاذب هذا الرأي ومختلق من أساسه .

لا يملك الرؤية إلا من يكابد الواقع من الداخل .. من يعيش انتصاراته وانتكاساته لحظة بلحظة ..

من اين لي فهم الواقع ولندن تتقاذفني غريباً مسحوقاً يمزق عواطفه ويُسلمها لعبث الرياح ؟

حقاً إنني أحمل وطني معي .. في القلب تماماً .
حقاً إن الأحزان السوداء التي تجتاحني للوطن نصيب وافر فيها .
لكـــن ..
ان طعم المرارة لا يلسع لساني .
والموت البطيء لا يتسلل إلى عروقي ..
والخوف الذي يكبر يوماً بعد يوم لا يسيطر على حياتي ..
فكيف لي أن أحس بالواقع وأفهمه كما ينبغي أن أحس وافهم .. ؟
شتان بين حزنك وحزني ؟
حزنك خلاق ومبدع .. فها هي « أم الضياء » تولد من خلال الأحزان .. تنتظر الأمل .. تنتظر حامل المفاتيح .. تنتظر الساحر الذي يمسح تجاعيد السنوات الطويلة المريرة ، تجاعيد القلب والوجدان .
حزينة « أم الضياء » حقاً ..
لكنها رغم الأحزان تنتظر ..
وهي تعرف أن انتظارها واعد ومعطاء وممطر ..
وان فجرها ينبثق من خلال هذا الإنتظار .. وأن شمسها ستتألق به .
أما حزني فهو حزن أسود قاتل ، لأنه حزن الغريب الضائع في شوارع لا يعرفها .. وأناس لم يألفهم .
وقلوب لم تتعامل معه بالحب كله ..
قرأت قصتك بامعان ...
حاولت من خلال قراءتها أن أنزع رداء الحزن الأسود القاتل لألبس

رداء الحزن النبيل الشفاف الذي تمطر به قصتك .
حاولت أن أعود للواقع الذي ابتعدت عنه طويلاً ...
ومعك لا بد أن يعود الليبي إلى واقعه ...

فبعيداً عن أي علاقات وجدانية تربطني بك .. تظل الكاتب الذي لم يتخلص من ليبيته تحت أي دعوى واي شعار .

انت هكذا ..

الانسان الليبي بصفائه ونقائه .. ببساطته وعمقه .. بحزنه وفرحه .. بغضبه وسعادته .. باندفاعه وصبره ، باستكانته وتمرده .

في فنك يطل الانسان الليبي من كل حرف تسطره ، ويتربع داخل كل إبداع تنجزه .

وانت بهذه الصفة لست كاتباً اقليمياً ولكنك كاتب انساني بالدرجة الأولى .

فالكتّاب الذين عرفتهم الانسانية .. واحتفت بهم .. وتعلمت منهم .. لم يكتبوا عن الانسان المجرد الذي لا يرتبط بواقع .. ولا يحمل اي ملامح وخصائص .. ولكنهم كتبوا عن انسان عايشوه وتشربوا واقعه .. ووقفوا على التفاصيل الدقيقة التي تشكل حياته ..

ان نماذج تشيكوف هي نماذج روسية أولاً وأخيراً ...
ونماذج شتاينبك هي نماذج أمريكية خالصة .
ونماذج كازنتزاكي هي نماذج يونانية أصيلة .
ونماذج يوسف ادريس هي نماذج منتزعة من قلب الواقع المصري .

لم يقل أحد إن تشيكوف اقليمي .
ولم يقل أحد ذلك عن شتاينبك وكازنتزاكي ويوسف ادريس .
هؤلاء كتاب يقرأ لهم العالم وينحني لنماذجهم ولأدبهم ولرؤاهم .
وأنت بكل بساطتك وعمقك تنتمي لهؤلاء الأفــذاذ .. لأن أرجلك مغروسة في تراب وطنك .

ولان شجرتك ترتوي عروقها من القلب الليبي .

فانت لست أكذوبة نفخ فيها السذج حتى تقطعت أوداجهم وبقيت الأكذوبة .

أنت حقيقة راسخة كوطنك تماماً .

وأنت لست بهلواناً يرتدي آلاف الأقنعة لينتزع الاعجاب الكاذب .

أنت مبدع رائع كروعة مواطنك تماماً . انت لست متاجراً بشرف الكلمة وقدسيتها في قراءات الحكام وأمراء النفط وأصحاب الملايين .

انت تقاتل من أجل شرف الكلمة .. تماماً كما يقاتل مواطنك من أجل شرفه وشرف الوطن .

وبعد سنوات طويلة طويلة .. ربما بعد الف سنة .. عندما تخضع النفس الليبية لدراسات علمية جادة لتأصيلها وكشف جوانب القوة والرسوخ فيها .. سوف يجد الدارسون ان طريقهم لن تمر إلا فوق جسر ابداعاتك .

فأنت روح ليبية عظيمة

لهذا قرأت قصتك بامعان .. وحاولت أن أضرب بارجلي مرة أخرى داخل تراب الوطن كي تعود الجذور إلى مكانها الطبيعي .

حزينة كانت ..

لكنني أحببتها .. ومن هو الذي يملك ان لا يحب أمّ الضياء ؟

من يقاوم . . من ؟

قرأتها ومسكت قلمي وكتبت على جبين أمّ الضياء بعض الهوامش .. ثم عدت ومزقت ما كتبت .

فأنا لا أملك حق الكتابة على الجبين العظيم لأم الضياء !

أنا لا أعاني الحقيقة فلماذا أقحم نفسي ؟

أنا لم أعان حزن الليالي الطويلة الممضة فلماذا أقحم نفسي ؟

أنا لم أصنع شيئاً لأمّ الضياء فلماذا أقحم نفسي؟

لهذا مزقت هوامشي وتركت جبين أمّ الضياء نظيفاً ليكتب فوقه غيري ممن يعرفون أمّ الضياء ويعايشونها ويرقبون الزمن وهو يصارعها ويضيف اليها التجاعيد كل يوم .

قصتك رائعة كروعتك انت الانسان الشريف .

وحزنك نبيـــل وشفاف وخلاق . أمـــا أنا فحزني أسود .. ولندن تتقاذفني... ولا نهاية للأحزان إلا بالعودة .

فلا بد من أمّ الضياء وان طال المسير .

لندن ، ربيع ١٩٧٠ م

لماذا الخوفُ ؟

عندما سقطت الشمس ، وبدأت غبشة المساء الأولى ... كان موعدنا ...

حارات ضيقة خضناها .. بالحذر كله .. بالخوف كله ، لدرجة ان ضاعت من أمامي فرصة اكتشاف حقيقة الحياة المصرية بعد أن عشت طويلاً على سطحها المزيف ..

عند أحد البيوت المتهالكة في وسط الحارة الضيقة المليئة بالقذارة وقفنا .. صعدنا السلم ، دلفنا داخل غرفة ضيقة صغيرة ، وجدنا خمسة أشخاص جالسين بينهم رجل أعمى ، صورة كبيرة لجيفارا تحتل الركن البارز من الغرفة ...

لا شيء يوحي بالخطر ، أو الخوف ..

لا شيء يدعو للحذر حتى الآن ..

هل تكون هذه الغرفة خلية حزبية جرني اليها اصدقائي المصريون حتى تكتمل المفاجأة التي وعدوني بها ؟

بالتأكيد هي ليست خلية حزبية .. فاحساسي قوي دائماً بالأشياء ، والغرفة والجالسون فيها لا يوحون أبداً بأنهم في اجتماع حزبي أو هم في طريقهم إلى ذلك .

قدمني أحد الأصدقاء المصريين إلى الرجل الأعمى ..

هذا صديق مثقف وكاتب من ليبيا ..

وهذا هو الشيخ إمام ..

ارتعدت من المفاجأة .. فما أكثر ما سمعت عن هذا الفنان الأعمى .. وما أعظم شوقي إلى سماع فنه ...

نحن إذاً في بيت الفنان الشيخ إمام ..

فلماذا الخوف اذاً ؟

دلف أشخاص عديدون إلى الغرفة .. لا يكاد الواحد منهم يصل حتى يبدأ في استرجاع أنفاسه ..

لا بد أن في الأمر شيئاً ..

أخذ الشيخ إمام عوده .. بدأ يدندن .. سيطر الصمت تماماً ، حتى تردُّد الأنفاس يكاد لا يبين .. لا شيء سوى رنات العود ، ووجه الشيخ إمام الصارم .. وعيون جيفارا تخترقني .. وتسخر مني ، وتتحدى القدرة التي أودعها الله داخلي ...

جيفارا مات ...

مات البطل فوق مدفعه ...

جوّه الغابات

جسد نضاله بمصرعه

لا طبالين يفرقعوا

ولا إعلانات

نعم .. مات جيفارا ، لكن آلافاً غيره نبتوا في أرض البشرية ..

جيفارا الفلسطيني ، جيفارا الافريقي ، جيفارا البوليفي ، جيفارا الامريكي ..

جيفارا فكرة ترحل في عالمنا .. تزرع في الوجدان البشري النضال من أجل المستقبل الذي تنعم فيه البشرية بالسعادة ..

جيفارا فكرة تطوف عالمنا المليء بالمتكلسين والمفلطحين والبهوات والباشوات تدينهم .. تعريهم ، تفضح تطلعاتهم الشرسة التي يغلفونها بقناع كاذب خادع .

فلماذا الخوف اذاً .. ؟

ان جلسة الفنان الشيخ إمام تنظر اليها السلطات على أنها أخطر من أي تجمع حزبي ..

فالحزب دائماً له حدود .

قد يقتنع الانسان بمبادىء الحزب وقد يرفضها .

قد ينضم الانسان للحزب وقد يرفض ذلك .

قد يفهم الانسان فلسفة الحزب وقد لا يفهم .

الحزب محدود .. وقدرته على الانتشار محدودة .. والناس اكتوت بنار الأحزاب وما عادت تعلق آمالاً كبيرة عليها ..

ولكن الشيخ إمام لا يرفضه أحد .

الشيخ إمام ليس له حدود

وليس لانتشاره حدود

الشيخ إمام كلمة منغمة تخرج من القلب وتتجه إلى القلب مباشرة ..

الشيخ إمام يتكلم بلسان الشعب .. ويغني بلسان الشعب .. ويعبر عن الوجدان الشعبي .. ولهذا فانصاره يتزايدون يوماً بعد يوم ، وأغانيه تنتشر في كل مكان .

حتى البيوت المرفهة البرجوازية تستمع لاغانيه ، ربما لتكفر عن خطاياها ..

جيفارا مات ..
صرخة جيفارا يا عبيد ...
بأي موطن أو مكان ...
ما فيش بديل ...
ما فيش مناص ....
يا تجهزوا جيش الخلاص
يا تقولوا على العالم خلاص

عشرات الأصوات تشدو في سماء القاهرة .. في الحفلات .. في السهرات في علب الليل المرصوصة حتى الحافة بالمخمورين وطلاب المتعة .. في قعدات الحشيش .

لكن لا أحد يعبأ بهم ...

فلقد مل الناس فن الحب المريض المزيف الذي يقدمه هؤلاء .

مل الناس تلك الأصوات المرفهة التي تسكن أفخر الفيلات ، وتركب أحدث السيارات وتغني بدون نبض .. وبدون احساس .

مل الناس تلك الأصوات التي تبيع فنها بجنيهات الذهب ، وتساهم بجد واجتهاد في نقل الناس من واقعهم القاسي المرير إلى واقع وردي كاذب ...

واتجه الناس إلى فنان فقير أعمى يسكن في غرفة ضيقة باحدى الحارات المصرية القذرة .

فنان يربطهم بواقعهم ويكشف لهم عن مناطق الفساد فيه ، ويشحنهم بضرورة خوض الصراع ضد مساوئه .

لا يصنع لهم عالماً وردياً كاذباً .. ولكنه يشدهم إلى طين الأرض .

فلماذا الخوف إذاً ؟

دخل الشيخ امام السجن مرات عديدة ..

وظلت القاهرة كما هي ..

لا أحد يلقي بهؤلاء المخمورين التافهين الغارقين في عوالم المتعة الفاسدة داخل السجن .

لا أحد يقبض على ذلك الفنان الداعر الذي يقيم السهرات الحمراء في بيته تحية لاصدقائه أمراء النفط ..

لا أحد يقتحم البيوت المرفهة التي تحولت إلى قاعات للقمار ..

لا أحد يقترب من علب الليل المنتشرة كالبثور على وجه القاهرة ..

لا أحد يقترب من غرز الحشيش وتجارها .

والشيخ إمام وحده مع فنه العظيم داخل السجن ..

فلماذا الخوف اذاً .. ؟

في كل مرة يخرج فيها من السجن يعود عنيداً أكثر مما كان ..
يعود متفائلاً أكثر مما كان ..
يعود ممتلئاً وخصباً أكثر مما كان ..

فرحلة السجن ليست عقيمة بالمرة .. فهناك بين المساجين زرع بذرتها ... ترك أغانيه ، لتتحول إلى مطارق أسطورية تنهال على الأبواب الحديدية التي تشكل جزءاً من الزنزانات السوداء المظلمة .

اخترقت أغانيه الحارات والشوارع والميادين والبيوت ووصلت إلى السجن ..

والسجناء لا يخافون .. فالسجن نهاية المطاف .

فلماذا الخوف إذاً .. ؟

عندما أغلقت أبواب القصور والدارات والشقق الفاخرة في ذلك اليـــوم .

عندما خاف الأثرياء والبرجوازيون على أبنائهم وسارعوا ينقلونهم من الجامعات إلى بيوتهم بمختلف وسائل النقل حتى لا يحدث لهم مكروه ..

وعندما اتجهت الشرطة بخوذاتها الحديدية وعصيها وقنابلها المسيلة للدموع وبنادقها المحشوة بالرصاص لتحاصر ميدان التحرير حيث يجتمع الطلبة الفقراء الوطنيون يطالبون بالتحرير ولقمة العيش ..

في تلك اللحظات لم يخرج اولئك الفنانون الذيـن يملكون أحدث السيارات وأعظم الشقق وأجمل علب الليل ..

فما الذي يربطهم بمجاميع فقيرة وطنية من الطلبة .. ؟

ان هؤلاء الطلبة الفقراء الممتلئين وطنية وحباً لمصر .. يسببون لهم ازعاجاً كبيراً .. ويهددون راحتهم ومتعتهم ومكاسبهم ..

فلماذا يخرجون .. ؟

لكن الشيخ إمام احتضن عوده وخرج

ومن قلب ميدان التحرير وقف يعزف ويغني لمصر ولروح مصر ولتاريخ مصر

الشيخ إمام يعرف أنه جزء من هؤلاء الفقراء ..

جزء من مصر « العشة » والحارات الضيقة والفقر المدقع والجوع الضاري والوطنية الجياشة ..

الشيخ إمام يعرف ان المعركة ليست معركة طلبة فقراء يؤمنون بحرية الوطن ولكنها معركة مصر كلها التي تواجه محاولة لتزييفها والخروج بها من دائرة صياغة التاريخ إلى دائرة الفرجة على التاريخ ..

الشيخ إمام يعرف جيداً ان المعركة قديمة وعميقة وان اللحظة التي ستنفجر فيها الحقيقة آتية لا ريب فيها ...

لهذا احتضن عوده وخرج يزرع الكلمات والأنغام في القلوب الشابة التي تجمعت في ميدان التحرير تطالب بشرف الوطن ....

فلماذا الخوف إذاً .. ؟

بدأت مكبرات الصوت تنقل لنا صوت أذان الفجر ..

وضع الشيخ إمام عوده وبدأ يودعنا ..

وكان علينا أن لا نخرج جماعة ..

يجب أن نتسلل كأفراد .. لأن الشرطة السرية ترابط أبداً في نهاية الحارة تسجل القادمين والخارجين ..

خرجت من بين السلالم الضيقة وبدأت استنشق عطر الفجر ..

لا زال الشيخ إمام وصوته وأنغامه يملأون وجداني ..

ولا زالت عيون جيفارا تثقب ظهري .. تدين الأماني التافهة التي تسكن في القاع من نفسي ..

لم الاحظ اذا ما كانت الشرطة السرية تراقب ام لا ..

فالحركة في الحارة نشطة تماماً .. والوجوه لا تختلف عن بعضها كثيراً ..

لقد شكل الفقر والجوع والقهر ملامحها الأساسية ..

ومن اين للشرطة السرية ان تفرق بين هذا وذاك .....

فلماذا الخوف اذاً .. ؟

القاهرة ، شتاء ١٩٧٢ م

انسحابُ المقَاتِل

خمسة عشر عاماً وأنا أحلم بلحظة أرتاح فيها تحت ظل أهدابك ..

حرقتني الشمس وعذبتني السنوات والحلم يملأ القلب والفكر وينمو كالمخلوقات الخرافية ..

خمسة عشر عاماً .. بثوانيها ودقائقها وساعاتها وأيامها ، كنت أحمل الحلم والحلم يحملني .. وظل أهدابك يبدو من بعيد رائقاً وصافياً ومنعشاً. وكلما طالت الرحلة واستبد اليأس كان الحلم يبدو أكبر وأعمق وأجمل وأروع ..

خمسة عشر عاماً وأنا أحلم بلحظة تسمحين فيها بأن أتسلق أهدابك لأستحم في نهر عينيك وأرحل إلى شواطىء بعيدة مجهولة ما اكتشفها انسان ولا شاعر ولا موسيقار .. وأصنع حياة جديدة ما عرفتها البشرية من قبل ..

وكنت مستعداً في لحظة جنون الحلم أن أموت غريقاً في نهر عينيك ..

فالموت في عينيك قمة الحياة وقمة الجنون ..

قاتلت اليأس وقاتلني ..

واجهت الحياة وواجهتني ..

انجرحت ، بكيت ، سقطت ، تناثرت شظايا ، لكني حافظت على

الحلم بعناد اسطوري ..

تعلمت كيف أحلم في اليقظة ..

وتعلمت كيف أدافع بحلم اليقظة ..

أصبح حلم اليقظة هو رياضة (اليوجا) الهندية التي أمارسها في وجه كل المتاعب والهموم والآلام التي تجتاحني ..

تعلمت كيف أكون مع الناس ولا أكون ..

كيف أترك الحياة حولي صاخبة حادة وأرحل مع الحلم إلى البعيد .. إلى عينيك ..

خمسة عشر عاماً وأنا استسلم للحلم دقيقة وراء دقيقة .. حتى أصبحت أمارس حياتين مختلفتين تماماً .. حياة مع الناس اتعذب فيها وأتألم وأكافح وأتزوج وأنجب وألهث وراء اللاشيء ..

وحياة مع عينيك اتخلص فيها من أسر الواقع .. أتطهر من عيوبي ومن ذنوبي .. وأسقط كل خطاياي ، وأولد انساناً جديداً في عالم غير العالم الذي أعرف ..

خمسة عشر عاماً طويلة متعبة مرهقة لكن الحلم فيها كالزهرة التي تبدو متفتحة وجميلة وسط غابات ممتدة من الأشواك والعوسج ..

آه لو اختصرت كل هذه السنوات المنهكة المضنية ..

آه لو تحقق الحلم في لحظة بدايته قبل خمسة عشر عاماً .

هل كان يمكن أن يحدث ما حدث ؟

هل كان الشيب سيغزو المفرق ؟

هل كانت السقطات المريعة ستدمي الجبين ؟
تأخر موعدنا خمسة عشر عاماً ..
تعثر الحلم وتاه عن طريقة خمسة عشر عاماً ..
وها أنا وأنت نقف وجهاً لوجه بعد خمسة عشر عاماً .. فهل تسمحين بأن أحقق الحلم الذي تأخر خمسة عشر عاماً . ؟

هل تمدين من أهدابك خيط حرير أتعلق به لأستحم في نهر عينيك وابدأ تجديفي نحو الشواطىء البعيدة ؟

تقفين أمامي بعد خمسة عشر عاماً .. فهل تسمحين بأن أرتاح في ظل أهدابك قليلاً وأن أبكي من الفرح طويلاً وأن أبدأ رحلة الشوق واللهفة والحرمان نحو منابع البهجة والحب والارتواء ؟

تقفين أمامي بعد خمسة عشر عاماً فدعيني أغتسل من أحزاني ، دعيني أخرج من جلد قهري وعذابي .. دعيني أتطهر من ذنوبي .. دعيني انسحب من دائرة جنوني .. دعيني أتعلم لغة جديدة بدل لغة النفاق والكذب .. دعيني أتعلم كيف أكتب شعراً فيك .. كيف أبدع لحناً ، كيف أخلق تاريخاً جديداً .. دعيني أخرج من ذاكرة الأحقاد والعادات المزمنة إلى ذاكرة جديدة مليئة بالثقوب لا تعرف إلا لحظتها الجديدة ..

تقفين أمامي بعد خمسة عشر عاماً تسرقين الأضواء من الجميع ، توزعين ابتساماتك على الجميع ، تمدين أهداب عينيك على الجميع ..
وأنا أقف أمامك أحمل خمسة عشر عاماً من اللهفة والقلق واليأس والأمل والحلم والانتظار ..

فهل أنت أنت ؟

وهل أنا أنا ؟

وهل الحلم هو الحلم ؟

وهل مدريد التي نسهر في قلبها الليلة هي طرابلس منذ خمسة عشر عاماً ؟

تقفين ما زلت .. فدعني أنسحب ببطء حتى لا أتعثر وأسقط فتتناثر شظاياي أمامك ..

دعني احتفظ بكبريائي حتى آخر لحظة . .

دعني أغادر مدريد سليماً فأنا لا أحب أن أسقط وأموت بعيداً عن ليبيا ..

دعني أنسحب ببطء فأنا الآن أعرف جيداً أنني لا أستطيع الخلاص من أحزاني ولا الخروج من دوائر جنوني ولا التطهر من ذنوبي ولا الفكاك من عاداتي ولغتي وذاكرتي ..

دعني أنسحب ببطء فأنا لا أريد أن أخسر دفعة واحدة خمسة عشر عاماً من حياتي ..

أنا لا أريد أن أفقد حلمي ..

فأنت لست أنت ..

وأنا لست أنا ..

ومدريد ليست طرابلس ..

لكن حلمي سيظل قنديلي وسيفي وكتابي ورصيدي وبهجتي وشوقي

وتلهفي ووجدي الصوفي ..

بعد خمسة عشر عاماً وفوق أرض غريبة خسرت عينين عشقتهما .. وفقدت أهداباً جاهدت كي أرتاح في ظلالها .. لكنني لم أخسر حلمي ..

ففي العالم عيون كثيرة تستحق أن أحلم من أجلها ..

وفي الحياة أهداب كثيرة تستحق أن أحارب كي أصل إلى ظلها ..

وسيظل حلمي ينمو ويكبر حتى أرتاح في عينين جميلتين .. حتى أجدف في عينين صافيتين ، حتى أتطهر في عينين بديعتين .. حتى أولد في عينين لؤلؤيتين ..

فدعني أنسحب ببطء .. ودعي خمسة عشر عاماً من ذاكرتي وتاريخي تنسحب معي في هدوء ..

مدريد ، ١٩٧٤ م

عذابُ الرغَباتِ الصَّغيرة

كان صدري مملوءاً بالرغبات الصغيرة والشوارع تنفتح أمامي كأن عصا موسى تشقها ..

ولا أدري أي الرغبات أحقق الليلة وأي الرغبات أؤجل إلى ليلة أخرى .. لكن الأمل يتصاعد داخلي بأن تكون الفرصة مواتية لأحقق كل الرغبات دفعة واحدة الليلة ..

فلا وقت عندي ..

ولا صبر عندي ..

والرغبات وحش ضار يأكلني ببطء ولكن بدون توقف ..

لأبدأ بكأس من الجعة ثم أضع الخطة وأبدأ في التنفيذ ..

بمجرد أن ولد هذا الخاطر داخلي أحسست به يتبعني .. كأن الأرض قد انشقت به في تلك اللحظة بالذات التي قررت فيها أن أبدأ بتحقيق أولى رغباتي الصغيرة التي تأكلني ببطء ولكن بدون توقف ..

تجاهلته .. لكنني كنت أسمع وقع خطواته تلاحقني في ثقة وهدوء .

أحسست بها تعذبني .. صوت خطواته تحوّل إلى نواقيس وطبول تقرع وسط أذني ..

لكنه سوف لن يمنعني من تحقيق رغباتي الصغيرة مهما لاحقني ومهما افتعل الهدوء والثقة ..

مسحت شوارع (أثينا) كلها على أمل أن يتعب ويتركني في حالي .. لكنه يملك صبر أيوب ، بنفس الثقة يلاحقني .. بنفس الجسارة والشجاعة يتابعني ..

هل كتب علي أن أدخل معركة شرسة وقاتلة في مدينة لا تعرفني ولا أعرفها . ؟

لأكن صبوراً مثله ..

مرقص (كوبا كوبانا) . قطعت تذكرتي ودخلت .. كان الجو بالداخل يعبق برائحة الجعة والفتيات والموسيقا الصاخبة .. تخطيت مجاميع الراقصين والراقصات ووقفت أمام الساقي .. فجأة أحسست بعينيه تخترقان ظهري خنجراً من نار ..

التفت اليه .. كان خلفي تماماً ، قدم لي الساقي كأساً وضعها أمامي ، لم أستطع الاقتراب من الكأس فذلك السخيف الذي يتابعني أراه يقول لي بعينيه لا ..

حاولت أن أتشجع وأمسك بالكأس وأقذف به في جرعة واحدة داخل جوفي .. لكن يدي رفضت الانصياع كأنها تتآمر ضدي ... كأنها يده وليست يدي ..

يا للجنون .. فلأؤجلْ هذه الرغبة الآن .

اخترت فتاة يونانية شعرت بها قادمة من عالم الأساطير ..

هل تسمحين بهذه الرقصة . ؟

ابتسمت موافقة .. أخذتها إلى قلب حلبة الرقص مزهواً بها ومزهواً ببقية شبابي ..

وعندما بدأت الموسيقا ، وفي اللحظة التي قررت أن آخذها إلى حضني ، في تلك اللحظة بالذات رأيته بكل الشجاعة الوقحة يدخل بيني وبينها ويقول من خلاله نظرته القاسية لا ..

هل أرتكب جريمة هذه الليلة في هذا البلد الغريب ؟

دائماً يقولون عني بأنني عاقل .. فلأكن دائماً عاقلاً ..

تركت الفتاة الطالعة من عالم الأساطير .. وانسحبت من المرقص كلية بدون أن أحقق أي رغبة من الرغبات الصغيرة التي تأكلني في بطء ولكن بدون توقف ..

انسحب معي ..

خطواته ورائي تماماً ..

لا مفر .. لا مهرب ، قررت العودة إلى الفندق ..

أخذت المفتاح ، ركبت المصعد ، أمام غرفتي وقفت أتنصّت وقع خطواته فما سمعت شيئاً . أحسست بالفرح .. أخيراً تركني ..

فتحت باب غرفتي .. بدأت في تغيير ملابسي ، في تلك اللحظة أحسست به يفتح الباب ويدخل ..

جلست عارياً ومتهالكاً على الفراش في مواجهته تماماً ..

ابتسم لي ثم أخرج سكيناً من جيبه وتقدم نحوي وأنا عاجز عن إبداء

أي حركة .. بالسكين فتح صدري بدون أن تسقط قطرة دم واحدة .. أدخل يده . أمسك قلبي وسحبه قليلاً ثم صنع فتحة في جداره بسكينه ..

ابتسم لي مرة أخرى ثم دخل في فتحة القلب وأغلق صدري فعاد كما كان تماماً ..

أحسست براحة عجيبة .. فانسان التقاليد والعقد قد استقر في مكانه مطمئناً بعد أن تأكد أنني ولد ليبي لا يخون تربيته القديمة ويحرص أن يكون اسمه ضمن قائمة الموعودين بالجنة ..

أثينا ، يونيو ١٩٧٥ م

طيور الحزن الرّماديّة

هل كان من الضروري أن يذرع صديقي الصغير (نوري) الطريق الطويل إلى ميدان (سنداغما) ليشتري صحيفة (الفجر الجديد) ويقرأ النبأ المروع ... موت عمي علي ؟

كان يمكن أن تمر الأيام بسلام ونحن نعبث ونلهو حتى تكاد مدينة (أثينا) تضيق بجياد الفرح المنطلقة من قلوبنا .. لولا القرار الذي اتخذه صديقي الصغير في غفلة عني .

لم تكن رحلة للهم والأحزان والمشاكل .. فلقد قررنا أن نطرح كلَّ همومنا وأحزاننا ونستقبل العام الجديد بالفرح .. والفرح وحده ..

ولكن أيها القلب البائس أين تهرب من الأحزان وهي تعرف رائحتك وتستمتع بمطاردتك . ؟

مات (عمي علي) ..

احتميت بجدار فندق (اسبيريا) من الزلزال الذي أحسست به يصيب (أثينا) والذي رأيت من خلاله جياد الفرح تصهل صهيلاً موحشاً وكئيباً ومقطعاً للأوصال وتنطلق هائجة متنافرة تريد النجاة من الزلزال ولكن حفراً رهيبة انشقت بها الأرض ابتلعت تلك الجياد جواداً وراء آخر حتى لم

يبق منها سوى صهيل الوحشة والحزن والألم .

مات (عمي علي) ..

قنديل آخر من قناديل شارعنا ينطفىء في ليلة ديسمبرية باردة ..

قبله قناديل أخرى انطفأت .. وبات شارعنا يعاني من كثْرة الزوايا المظلمة فيها .. وأصبح الخوف يملأ قلوبنا على شارعنا وقناديله المتبقية ..

لقد عشقنا هذه القناديل .. أضاءت طريقنا ، تعلمنا منها التجربة ، وتشربنا الحكمة ، وأحسسنا أننا نكبر من خلالها ، ونتتصر على الحياة بحبها وتشجيعها ..

كنا نحس بلفحة الريح التي تتلاعب بذبالتها سكيناً يغوص في القلب فنسارع لحمايتها من الريح حتّى تظل القناديل مشتعلة ومضيئة ، لكن الفشل كثيراً ما يصيبنا عندما تكون ريح القدر أقوى منا ومن امكانياتنا وتطفىء قنديلاً من قناديل شارعنا ..

وها هي رياح القدر تتركنا نعبث مع جياد فرحنا في (أثينا) لتهب بقوة على قنديل (عمي علي) وتطفئه ولا تبقي منه سوى الذكريات .

مات (عمي علي) ..

لا مجال للهروب من الزلزال إلا بالهروب إلى الفضاء .. خرجت من الفندق إلى شوارع (أثينا) الفسيحة .. مع أول خطوة أحسست بسرب من الطيور الرمادية الصغيرة تحط على رأسي وأكتافي .. اني أعرفها جيداً هذه الطيور وهي تعرفني جيداً ..

لم يبق على احتفالات رأس السنة إلا أيامٌ قليلة فلماذا تأتين في هذا

الوقت بالذات يا طيور الأحزان ؟

وأيّ قوة رهيبة غير منظورة جذبتك يا عزيزي نوري نحو ميدان (سنداغما) لتشتّري صحيفة الفجر الجديد ولنقرأ فيها ذلك النعي الذي دفع طيور الأحزان لترحل كل هذه المسافات الشاسعة وتقف على رأسي وأكتافي في أول شارع أضع فيه رجلي في أثينا ؟

مات (عمي علي) ..

رفعت رأسي إلى سماء (أثينا) فما وجدتها .. هل يؤثر زلزال الأحزان حتى في السماء فيبتلعها كما ابتلع جياد الفرح . ؟

دققت النظر إلى فوق فما وجدت السماء ولكنني وجدت أسراباً هائلة من الطيور الرمادية الصغيرة التي تقف على رأسي وأكتافي . كانت تلك الأسراب تحجب السماء وتغطي كل مسافات النظر فوق (أثينا) .

أصابني دوار فهذه طيوري تعرفني وأعرفها فما الذي جعلها تنتشر بهذا الشكل ؟ تلفتُّ في الشارع حولي خوفاً من أن يكتشف الناس هذه الطيور فيطاردوني ويقذفون بي خارج الحدود حتى يتخلصوا مني ومن طيوري الرمادية ..

فوجئت بأن الناس يعرفون في غير دهشة أو انزعاج .

فوجئت أكثر عندما رأيت ذات الطيور الرمادية التي تقف على رأسي وأكتافي تقف أيضاً على رؤوس وأكتاف كل الناس الذين تغص بهم شوارع (أثينا) ..

يا للعجب .. هذه الطيور الرمادية ليست لي وحدي . إن كل الناس

يشاركونني في ملكيتها ..

لكن هذه الطيور لا تأتيني إلا في لحظات الحزن .. وها هي تقف على رأسي واكتافي لأن قنديلاً اسمه عم علي قد انطفأ ومع انطفائه انفتح جرح الأحزان في قلبي ..

فهل مات عم علي آخر في أثينا حتى هبت كل هذه الأسراب من الطيور الرمادية وحطت فوق رؤوس الناس وأكتافهم . ؟

أم ثمة تيار خفي يربط بين البشر جميعاً في لحظات الحزن ؟

أم أن نهر أحزاني قد فاض حتى أغرق كل القلوب في أثينا . ؟

أم أن الأحزان قدر على الناس جميعاً .. وان لكلٍّ أحزانه ولا نحتاج إلا إلى بصر مكشوف حتى نراها ؟

مات (عمي علي) ..

ترى ماذا تخبىء لك الأيام يا (جنان النوار) فها هي أنوارك تنطفىء .. وها هي ورودك تجف عيدانها عوداً بعد عود .. وها هي الصحيفة اليومية تختصر تاريخك جزءاً جزءاً وتحوله إلى مجرد نعي صغير في زاوية مهملة ..

وها نحن تتقاذفنا الشطآن المجهولة بعيداً عنك لا تكاد نتذكرك إلا في لحظات الألم والحزن ..

فماذا تخبىء لك الأيام بعد أن انطفأت أغلب القناديل التي كانت تضيئك وتعطيك المعنى والحياة . ؟

وماذا تخبىء لنا الأيام معك ؟

أثينا ، ٣٠ ديسمبر ١٩٧٦ م

بطاقاتٌ بَريديّةٌ متناثره

البطاقة الأولى

حبيبـــتي ...

كنت أحس بحبك في كل لحظة من لحظات الغربة ..

كان حبك أكبر من لحظات الفرح .. والحزن ، والشوق والألم والوجد ، والقهر ..

حاولت أن أحدد مدى حبك في قلبي فما استطعت ...

لقد كان حبك في حجم الوطن ..

وهذا يكفـــي ..

أعانقك دائماً

بوينس ايرس ١٩٧٤ م

البطاقة الثامنة

حبيبتي ...

كنت جائعاً هذا المساء بدرجة لا توصف .. وكان الزحام شديداً في المطعم الذي اخترته .

ولا مفر من الانتظار ..

رفعت السكين من على المائدة وقررت أن أشغل نفسي . خطرت لي فكرة صبيانية .. لماذا لا أنقش اسمك بالسكين على منضدة الأكل ؟

بدأت بسرّية خوفاً من أصحاب المطعم ..

وشيئاً فشيئاً انسجمت مع الفكرة وشغلني اسمك عما يجري حولي .

ساعة كاملة والخاطر يملأ القلب والسكين يتحرك بصعوبة في أحشاء الخشب ..

عندما انتهيت من نقش اسمك أحسست بالشبع .

وغادرت المطعم ..

أصافحك بحرارة

بوينس ايرس ، ١٩٧٤ م .

البطاقة الثالثة:

حبيبتي ...

عندما تقفين في الصف الطويل ترددين النشيد الوطني مع زميلاتك .. وتقدمين باجلال تحية العلم ..

في تلك اللحظة تماماً أكون قريباً منك ..

ارفعي رأسك الصغير إلى السماء .. هناك ستجدينني مبتسماً ومشجعاً وواثقـاً ..

فأين يكون الوطـن ..

وأين تكونين ..

أكون أنا ..

أعانقك بشوق

بوينس ايرس ، ١٩٧٤ م

البطاقة الرابعة

حبيبتي ...

عندما نكون داخل الصورة لا نستطيع أن نكتشف جمالها .. لأننا لا نملك القدرة على تأملها ..

ولهذا أحاول دائماً ان أخرج من الصورة لأتأملها جيداً ..

ولقد أتاح لي التأمل ان اكتشف فيها جمالاً جديداً في كل مرة .

والحق انني كنت واثقاً من أنني ساكتشف في كل مرة ثروة من الجمال والبهاء ..

وهل وجد الجمال والبهاء يا حبيبتي قبل أن توجدي وتوجد ليبيا . ؟

أعانق فيك الوطن

بوينس ايرس ، ١٩٧٤ م

البطاقة الخامسة

حبيبــي ...

اكتشفت بطريق الصدفة ان اليوم هو عيد ميلادي ..

اصابتني رعشة الفرح .. قررت أن أحتفل .. لبست أفخر ما عندي ووقفت أستعرض نفسي أمام المرآة ..

لم أجد صورتي .. وجدت شخصاً آخر ، حزيناً كئيباً كان .. ضائعاً مشتتاً كان .. مهزوماً مقهوراً كان .

من خلال لحظة الدهشة سمعت صوته قادماً من أعماق بئر الأحزان ..

هل يستقيم الفرح بعيداً عن الأحباب والأوطان . ؟

ولمن تغني العصافير في عيد الميلاد .. ؟

خلعت ملابسي .. وألغيت مشروع الاحتفال .. وقررت أن أكتب اليــك ..

أحبك بقوة

بوينس ايرس، ١٩٧٤ م

البطاقة السادسة

حبيبـــتي ...

فتشت هذا الصباح في أوراق حقيبتي .. فأشرقت صورتك من بين الأوراق ..

انتفض عصفور الوطن في قلبي وحاول أن يطير بعيداً ليستقر في قلبك الصغير ..

لكن دمائي التي اصطخبت بحركة جناحية منعته من الطيران ..

فلمن تتركني يا عصفور الوطن . ؟

ولمن تتركيني يا حبيبـــتي . ؟

خذيني اليك

بوينس ايرس، ١٩٧٤ م

البطاقة السابعة

حبيبـــتي ...

البارحة اصطادني مطر غزير في الطريق ولم يكن ثمة ما يحميني منه ..

أحسست بجسدي يتحول إلى قطرات منهمرة من المطر .. وبقايا اسناني تصطك بشكل لا إرادي ..

تذكرت في طفولتي طائراً صغيراً وجدته ذات صباح مبللاً من المطر يرتعشِ بشدة من البرد وكان ثمة علاقة حديدية في إحدى ساقيه . فرحت به بشكل لا يوصف لكنه في المساء أسلم الروح ..

كان طائراً مهاجراً ..

فلماذا التذكر .. ؟

ولماذا المقارنة .. ؟

هل ... وحيداً وبعيداً عنك وعن الوطن .

يا للفاجعـــة ....

ضميني اليك

بوينس ايرس، ١٩٧٤ م

نبضاتٌ مسكوفيَّة

(١)

حبيبـــتي ...

رأيتك هذا الصباح في وجوه أطفال موسكو ... كنت تلعبين معهم في ساحة المدرسة النموذجية ... جسدك يلتصق بهم ... عيناك تقطران بالسعادة .. كعيونهم . خطواتك تماماً كخطواتهم حبلى بالرحلة الممتعة نحو المستقبل المشرق ..

اقتربت منك ... امتدت يدي بقطعة من « اللبان » ... خطفتها الأصابع الرشيقة الصغيرة الجميلة ...

اقتربت أكثر . احتضنت الطفلة الموسكوفية الجميلة ، وكنت في الحقيقة احتضنتك أنت يا حبيبتي ....

• • •

(٢)

حبيبــتي ...

رأيتك في بحيرة البجع على مسرح البولشوي ... تشكلين مع مجاميع الراقصين والراقصات قصة بالغة الروعة والجمال والخلود ..

كفراشة كنت وسط المجاميع تتحركين . اصبعك الدقيقة الرقيقة تحمل جسدك في رشاقة وجمال ...

تصنعين بحيويتك وشبابك وانطلاقك لوحة فنية بديعة ..

تصوغين بابداعك ملحمة الانسان الجديد الذي تحرر من كافة أشكال العبودية والاستغلال ..

في بحيرة البجع حبيبتي رأيتك ... وفي كل بحيرات الجمال والفن تنعكس ملامحك الليبية الأصيلة ...

• • •

(٣)

حبيبتي ...

في أروقة مهرجان موسكو السينمائي غنى الوفد الفلسطيني أبدع ما كتب الشاعر درويش ...

فلسطينية العينين والوشم ...
أعدت اكتشافك في هذه الأغنية يا حبيبتي ...
ليبية العينين والوشم ..
ليبية الفهم ..
ليبية الجمال ..
ليبية الشوق والانتظار ..
ليبية الحس والادراك ...
ليبية الحاضر والمستقبل ...
ليبية الحياة والموت ...

رأيتك وغنيت لك وتأملت تقاطيعك جيداً ... واكتشفت ان جمالك الحقيقي يكمن في انك ليبية ... يا حبيبتي ....

• • •

(٤)

حبيبـــتي ...

رأيتك في محطة مایاکوفسكي لوحة فنية أبدعتها يد فنان عاشق للسلام والأطفال والتقدم ..

رأيتك وعلى كتفك حمامة بيضاء تشع عيناها بالاطمئنان ... وعلى عنقك طوق من أغصان الزيتون ... وفي يديك بندقية ... لأن البندقية يا حبيبتي هي التي ستحمي الحمامة وغصن الزيتون ، وعينيك الجميلتين ..

رأيتك يا حبيبتي في لوحة فنية بمحطة مایاکوفسكي فعشقت فيك الفن ، والجمال والدفاع عن روح التقدم ..

• • •

(٥)

حبيبـــتي ...

رأيتك تحت تمثال جوركي أمام محطة القطار في موسكو ...

رأيتك تجمعين الزهور الجميلة وتحاولين صعود التمثال كي تطوّقي عنق جوركي بالزهور ... جوركي عاشق الأطفال والحرية والتقدم ..

رأيتك تحت تمثال جوركي فتاة ناضجة مكتملة ، تنتظر حبيبها « بافل » بطل رواية الأم ، تخوضين معه رحلة زرع التقدم ، رغم شراسة الأعداء ..

رأيتك وتركتك هناك لانني أعرف أن جوركي هو عاشق الأطفال ... هو عاشقك يا حبيبتي الصغيرة ...

موسكو ١٩٧٥

فهرست

	ص
وحيداً كنجمة الصباح	٧
طفولة بلا طفولة !!	١٧
البحث عن لحظة صدق !!	٢٥
ماذا لو كانت معي ؟	٣٣
ثلاث رسائل من وارسو	٣٩
الرسالة الأولى	٤١
الرسالة الثانية	٤٥
الرسالة الثالثة	٥١
آه يـــا موسكو !!	٥٥
البشارة وأمطار الفرح	٦٣
الورقة المذهلـــة	٧٣
البكاء على أبواب المدن المغلقة	٨١
أحزان أمّ الضياء	٩٣

لماذا الخوف ؟	١٠١
انسحاب المقاتل	١١١
عذاب الرغبات الصغيرة	١١٩
طيور الحزن الرمادية	١٢٥
بطاقات بريدية متناثرة	١٣١
البطاقة الأولى	١٣٣
البطاقة الثانية	١٣٤
البطاقة الثالثة	١٣٥
البطاقة الرابعة	١٣٦
البطاقة الخامسة	١٣٧
البطاقة السادسة	١٣٨
البطاقة السابعة	١٣٩
نبضات مسكوفية	١٤١

صدر من سلسلة كتاب الشعب

١ ـ أغـاني العَلَـم (دراسة في الأدب الشعبي) تأليف عياد موسى العوامي
٢ ـ يقظة الضمير (مسرحية) تأليف عبد الحميد المجراب
٣ ـ عرس الثورة (حوار فكري سياسي) تأليف جمعة المهدي الفراني
٤ ـ فلسطين والكتاب المقدس (دراسات) ترجمة د. عمر التومي الشيباني
٥ ـ الأمثال الشعبية في ليبيا تجميع محمد حقيق
٦ ـ ١٤ قصة من مدينتي (قصص قصيرة) تأليف كامل حسن المقهور

يصدر في نفس السلسلة

١ ـ معارك الغد (مقالات في السياسة والمجتمع) تأليف أحمد ابراهيم الفقيه
٢ ـ تاريخ المسرح في الجماهيرية (دراسة عن المسرح) تأليف المهدي أبو قرين
٣ ـ أحزان اليوم الواحد (قصص قصيرة) تأليف محمد علي الشويهدي
٤ ـ الزقاق (رواية) ترجمة إبراهيم النجمي

الكتاب القادم

مَعَارِك الغد

تأليف

احمد ابراهيم الفقيه

يصدر

في اول شهر اغسطس

الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

الثمن
١٠٠ درهم

هذه السلسلة تحقق اشتراكية الثقافة